وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

العلاقات الاقتصـــــادية بين الدولة الرستمية وشعــوب جنـــــوب الصحـــــراء

(161 -296 هـ/ 777- 909 م)

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد:
1- زهية لخضاري.
2- عائشة لوناس.

إشراف:
الدكتور: موسى هيصام.

السنة الجامعية: 1435-1436هـ /2014-2015م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

العلاقـــات الاقتصـادية بين الدولة الرستمية وشعـــوب جنـــوب الصحـــراء

(161 -296 هـ/ 777- 909 م)

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد:
1- زهية لخضاري.
2- عائشة لوناس.

إشراف:
الدكتور: موسى هيصام.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
1- د عبد الصمد مزاري	رئيسا	المدية
2- د موسى هيصام	مقررا	المدية
3- أ فاطمة الزهراء مالكي	عضوا	المدية

السنة الجامعية: 1435-1436هـ /2014-2015م.

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل المتواضع ونتقدم بالشكر الجزيل للدكتور "موسى هيصام " على قبوله الإشراف على هذا البحث وعلى النصائح والإرشادات القيمة التي أفادنا بها طوال مدة إنجاز هذا العمل.

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ ونخص بالذكر الأستاذ:" نوار نسيم" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته والأستاذ يسعد و الأستاذ حاجي والأستاذ بوعقادة اللذين لم يبخلوا علينا بكتبهم.ونشكر أيضا الأستاذ مزاري عبد الصمد الذي تحمل عناء تصحيح و مناقشة هذه المذكرة.

كما لا يفوتنا أن نشكر عمال المكتبة بجامعة المدية، ومخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور. والى زميلتنا سمية بجامعة أبو القاسم سعد الله ببوزريعة التي أعانتنا بكل ما نحتاجه من كتب لإنجاز هذا العمل.

كما نشكر كل من ساعدنا ولو بكلمة طيبة، أو نصيحة قيمة إلى كل أولئك جميعا منا جزيل الشكر والتقدير.



إهداء

أهديها لمن هي في الصبح بسمتي ولمكن هي في المساء حيرتي ولمن هي في العين دمعتي

ولمن هي في القلب بهجتي ولمن هي في الظلام شمعتي أهديها لأمي الغالية ذات الشأن والقيمة الغالية.

أهديها لمن رعاني منذ الصغر وسهر على حاجاتي حتى الكبر

وعلمني الصبر في كل المحن وشجعني على النجاح بعد الفشل

وعلى المثابرة بعد الكسل أهديها إلى أخي حسين وعمي مراد الذي شجعني على الدراسة منذ الصغر.

أهديها إلى أبي وجدتي التي لم تبخل علينا بالدعاوي و جميع أخواتي وأخي كمال والكتكوت إسلام أهديها إلى جميع عائلتي و إلى من ساندتني في مشوار الدراسي ووقفت معي دائما في جميع مشا كلي سلوى

أهديها إلى زميلتي في هذا العمل عائشة.

أهديها إلى جميع صديقاتي سميرة دليلة إيمان .

إلى كل من هم في ذاكرتي



إلى جميع من ساعدني

إهداء

اهدي هذا العمل إلى التي حملتني وهنا على وهن أمي الحبيبة التي وجهتني بنصائحها ودعاويهاحفظها الله ورعاها. أهدي هذا العمل إلى من كان سبب وجودي في هذه الحياة، إلى أبي حفظه الله ورعاه.

إلى جميع إخوتي الذين حفزوني على إتمام دراستي وإلى توأم روحي أخي الغالي عبد القادر.



عبد الحميد،عمرو، سليمة وحسيبة ،فتيحة و رزيقة ،وهيبة و أبنائها، خاصة الكتكوت زكرياء، لميس وإدريس، أيوب، وجدي و جدتي.

إلى صديقتي زهية التي رافقتني في هذاالعمل المتواضع إلى جميع زميلاتي وزملائي في العمل التربوي بثانوية بئر بن عابد، وهن ليلى وذهبية وفاطمة وسعاد وكريمة ونجية وغنية وجميع عمال مكتبة بلدية بئر بن عابد وعمال متوسطة بن شطارة.

كل أساتذتي الكرام بجامعة يحي فارس بالمدية .

عائشة

المقدمة

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي نشاط العديد من الحركات الخارجية، وتأسيس الكيانات السياسية نتيجة الفتن والثورات في عصر الولاة، والتي عانت منها الخلافة الإسلامية في المشرق مما أدى إلى ظهور دويلات مستقلة بالمغرب فظهرت على مسرح الأحداث أول دولة خارجية تمتعت بالاستقلال، هي الدولة الرستمية الاباضية بالمغرب الأوسط أسسها عبد الرحمان بن رستم عام 161هـ/777م. واتخذ من تيهرت حاضرة لها، ولم يقف تأثيرها على البناء السياسي عند قيامها، بل تعداه إلى الجانب الحضاري والاقتصادي. حيث لعبت تيهرت دورا متميزا في نمو وازدهار النشاط التجاري بالمغرب الأوسط، نظرا لموقعها الهام الذي سيطرت من خلاله على المسالك والطرق التجارية التي تؤدي إلى مختلف الاتجاهات.

ومن أجل ذلك ربطت الدولة الرستمية علاقات سياسية واقتصادية مع الدول المجاورة لها. منها الدولة الأغلبية في افريقية، والدولة الادريسية بالمغرب الأقصى والأمويين بالأندلس. أما في الجنوب فأقامت علاقات تجارية مع دولة بني مدرار بسجلماسة، التي تمثل منفذا هاما للولوج إلى بلاد السودان الغربي. باعتبارها بوابة الصحراء. لهذا بادر الرستميون إلى ربط علاقة اقتصادية مع تلك البلاد التي تشتهر بالعديد من الثروات.وهو موضوع دراستنا.

أهمية الموضوع يعد موضوعا ذا أهمية وجدير بالبحث، كونه يخص منطقة المغرب الأوسط بالدراسة. وذلك من خلال إبراز أهم المقومات والثروات التي تميز هذا الإقليم الحيوي في عهد الدولة الرستمية.وازدهار تلك المنطقة تجاريا،وكذا التعرف على طبيعة العلاقات الاقتصادية التي جمعت بين الدولة الرستمية مع جيرانها وخاصة مع شعوب جنوب الصحراء.

ومن هنا **نطرح الإشكالية التالية**: -ما طبيعة ومظاهر العلاقات بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء؟ وللإجابة عنها طرحنا التساؤلات التالية: وماهي أهم المسالك والمراكز التجارية التي نظمت حركتهم الاقتصادية؟ وفيما تجلت المبادلات والسلع؟ وما هي أهم العوائق التي اعترضت الحركة التجارية؟

المنهج المتبع اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي كونه يعد المنهج الأصلي في مثل هذه الدراسة بالإضافة إلى المنهج الوصفي لرصد العلاقات الاقتصادية التي نشطت بين المنطقتين خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري والنصف الأخير من القرن الثامن الميلادي والمنهج التحليلي من خلال الاستشهاد بالنصوص المصدرية و تحليلها.

أما فيما يخص الدراسات السابقة التي تناولت جزء من بحثنا هذا نذكر: رسالة منصور عبد الحفيظ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية (144-296هـ / 761-909م) إضافة إلى جودت عبد الكريم يوسف الذي تناول من خلال رسالته العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، فقد تحدث عن علاقة هذه الأخيرة بالسودان الغربي وعن السلع المتبادلة بين المنطقتين. ومن الدراسات التي تخصصت في هذا الموضوع أيضا نجد رسالة نور الدين شعباني الموسومة بعنوان علاقات مماليك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي.وأثارها الحضارية بين القرنين الرابع والتاسع الهجري (10-15م)، حيث تناول طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية بين المنطقتين. كما تناولت بعض المقالات هذا العمل، ومنها مقال خالد بلعربي العلاقات الخارجية للدولة الرستمية والسودان الغربي في مجلة كان التاريخية.

خطة البحث: واشتملت مذكرتنا على مقدمة ومدخل والذي ضمناه للتعريف بالدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء. كما قمنا بتقسيم دارستنا إلى ثلاث مباحث، وكل مبحث إلى ثلاثة عناصر.

أما فيما يخص المبحث الأول والذي تناولنا فيه أهم المقومات وعوامل نمو النشاط التجاري بين الطرفين وقد تضمن عرضا لأهم العوامل الطبيعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للطرفين.

أما المبحث الثاني فهو يشمل أهم المسالك والطرق التجارية التي تربط بين دول المغرب الإسلامي وشعوب جنوب الصحراء،كما احتوى على المراكز التجارية سواء المراكز المغربية أو الصحراوية. بالإضافة إلى الأسواق.

والمبحث الثالث تناولنا أهم المبادلات التجارية والسلع التي كانت تتم بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء ومنها الملح والذهب وطريقة التبادل، والعوائق التي اعترضت سير القوافل التجارية وفي الأخير خاتمة للموضوع.

تقييم المصادر و المراجع:

-ابن الصغير المالكي ، أخبار الائمة الرستميين ،الذي عاش في القرن الثالث الهجري حيث عاصر الدولة الرستمية، خلال فترة حكم أبي اليقظان بن أفلح (241هـ/855). وقد أفادنا هذا المصدر في الجانب السياسي خاصة، وأمدنا ببعض الإشارات عن الجانب الاقتصادي وعن السفارة التي عقدت مع بلاد السودان.

-اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح ت 284 هـ / 897 م استفاد اليعقوبي من تجواله في شمال إفريقيا وبخاصة في الدولة الرستمية التي كانت تسيطر على أغلب محطات الطرق الواقعة في الصحراء فجمع بذلك معلومات قيمة ضمنها كتابه البلدان الذي انتهي من تأليفه في مصر عام 278هـ / 891م.

واليعقوبي أول جغرافي زودنا بمعلومات عن الطرق الصحراوية، فأشار إلى طريق الذهب من سجلماسة إلى مملكة غانة عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى. كما تناول أيضا الطريق الشرقي من فزان عبر كوار جنوبا إلى حوض بحيرة تشاد، ووضح نشاط الاباضية التجاري على هذا الطريق من مركزهم الصحراوي مدينة زويلة وأشار إلى شعوب جنوب الصحراء التي ارتبطت عبره.

- البكري: أبو عبيد ت487هـ/1094م الذي أفادنا بمعلومات عن بلاد السودان مملكة غانة وتجارتها وأحوال سكانها ونظام الحكم فيها من خلال كتابه المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب. فتناول الطرق بمراحلها وأماكن وجود المياه والمخاطر التي تواجه القوافل ودور المراكز التجارية في النشاط التجاري.

- الإدريسي: أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت 560هـ / 1165م: أورد الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الأفاق معلومات قيمة وتفاصيل دقيقة عن ممالك إفريقيا جنوب الصحراء

والمراكز والمسافات بينها في الأقاليم بصورة واضحة تساعد على تحديد مواقعها.وتناول الطرق الصحراوية ووصف القوافل التجارية والسلع التي تنقلها، حيث أمدنا بمعلومات وافية عن الجزء الأوسط والغربي من الصحراء الكبرى، وعن طريق الذهب في أعالي نهري السنغال والنيجر.

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع والرسائل الجامعية والمقالات التاريخية نذكر منها:

- إبراهيم بن بكير بحاز، الدولة الرستمية (160- 296هـ/ 777- 909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية فقد استفدنا منه في الجانب الاقتصادي للدولة الرستمية ،حيث زودنا بمعلومات قيمة في مجال الزراعة و الصناعة ،و كذا التجارة مع بلاد السودان .

- الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ / 9-10م) ويعتبر مرجع مهما استأنسنا به في الجانب السياسي والاقتصادي لتيهرت، كما تطرق إلى مدينة سجلماسة باعتبارها منفذ هام إلى بلاد السودان، بالإضافة إلى مدينة أودغست، فقد زودنا بمعلومات عن تلك المنطقة الصحراوية.

- جوان جوزيف، أورد في كتابه الموسوم بعنوان الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء معلومات وتفاصيل عن ممالك إفريقيا جنوبالصحراء، كما تحدث عن مملكة غانة وتجارتها مع شعوب التي تواجدت في تلك المنطقة.

الصعوبات: أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا في إعداد البحث نقص المصادر، والمراجع المتخصصة في هذا الموضوع، خاصة في منطقة شعوب جنوب الصحراء في منتصف القرن الثاني الهجري الثامن الميلاد.وضيق فترة البحث ، إلا أننا استطعنا تجاوز تلك الصعوبات من خلال مساعدة الأستاذ المشرف وتوجيهاته، حيث كان دليلنا في مفازات الصحراء المقفرة.

المـــدخـــــــــل

نشأة الدولة الرستمية وبناء تيهرت

1 –قيام الدولة الرستمية:

ينتسب الرستميون إلى النحلة الخارجية بقيادة عبد الله بن اباض الذي وجدفي منطقة المغرب أرضية خصبة لنشر مذهبه، فعين أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري على منطقة القيروان أين تمكن هذا الأخير من طرد الصفرية.لكن الدولة العباسية أرسلت حملة عسكرية للقضاء على الاباضية، فغادر أبو الخطاب القيروان لملاقات محمد بن الأشعث الخزامي[1]،فعين عبد الرحمان بن رستم واليا على مدينة القيروان[2] حيث قام هذا الأخير بتنظيم البلاد ورتب العمال على مدائن افريقية.[3]

أما أبو الخطاب فإنه رجع إلى طرابلس التي اتخذها قاعدة لحكمه، فقد بعث الخليفة العباسي المنصور، محمد بن الأشعث إلى المغرب سنة 140هـ/757م، فوجد أبو الخطاب نفسه وجها لوجه أمام جيش العباسيين فأرسل إلى عبد الرحمان يدعوه للقدوم، ومساعدته[4]. فلما انتهى هذا الأخير إلى مدينة قابس تلقاه مقتل الإمام أبو الخطاب وعسكره. توجه راجعا إلى القيروان حيث وجدها قامت على عامله بها ، فحينئذ وُلي وجهه نحو المغرب الأوسط، مع ابنه عبد الوهاب وعبد لهما[5]. حيث ظلوا سائرين بين القبائل البربرية سالكين طريقا جنوبيا وعر يمر بقسطيلية، جنوب البلاد التونسية فصحراء الجزائر من شرقها إلى غربها، وكان هدفهم الوصول إلى قبيلة لماية بالمغرب الأوسط[6] في جبل سوفجج لحلف كان بينهم.[7]

---

[1]– إبراهيم بكير بحاز، **الدولة الرستمية (160–296هـ.777–909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، جمعية التراث الجزائر،ط2 ،1994،ص81.

[2]– أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، **كتاب السير**، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، تلمسان،ط2، 2011م، ص134.

[3]– أبو زكريا يحي بن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم**، ترجمة . اسماعيل العربي المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص41.

[4]– أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق. إبراهيم طلاى، ج1، مطبعة البحث، الجزائر، د ت، ص 34.

[5]– أبو زكريا، المصدر السابق، ص47

[6]– الدرجيني، المصدر نفسه، ص35.

[7]– عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000، ص158.

لقد اختار الرحمان بن رستم[1] هذا الجبل المنيع ليتحصن فيه ويستعد لمواجهة محمد ابن الأشعث ويبدوا أنه وجد أنصار من مشايخ الإباضية من طرابلس حيث كون جيشا وواجه به هذا الأخير في جبل سوفجج. حيث تذكر المصادر عدة روايات حول هذه المواجهة بين الطرفين، والمهم أن عبد الرحمان بن رستم خرج منتصرا، وبقي هناك مع تلك القبائل الاباضية[2].

بناء مدينة تيهرت:

عندما قرر الاباضية بناء مدينة يتحصنون بها، خرجت طائفة من أهل العلم والخبرة بالأرض ترتاد مكانا صالحا للعمارة وآمنا من العدو.[3] يمتاز بجودة الهواء، والمياه وخصب الأرض. فاختارت هذه الطائفة موضع تيهرت سنة 144هـ/761محيث تروي معظم المصادر الجغرافية كيفية بناء مدينة تيهرت والتي كانت في موضع لقوم اتفقوا معهم على إعطاء قدر معلوم من خراجه. حيث يقول أبو زكرياء: "وقد كانت قبل ذلك غياطا عامرة بالوحوش والسباع والهوام، فلما اتفقوا على عمارتها، أمروا مناديا ينادي إلى من بها من الوحوش والسباع أن أخرجوا، فإنا أردنا عمارة هذه الأرض..."[4] وهذه الرواية تشبه قصة بناء عقبة بن نافع لمدينة القيروان أثناء ولايته لبلاد المغرب.

ثم أحرقت الأشجار وتم تنقية الأرض، وصارت صالحة للعمارة فاختطوا المسجد الجامع بعد القرعة على اختيار المكان. فشرعوا في البناء ثم اختطوا المدينة وعمروها بالقصور والديار والحمامات والأسواق والفنادق حتى أصبحت تسمى عراق المغرب[5].

ويذكر البكري بأنه توجد مدينتان بتيهرت أحدهما حديثة والتي بناها عبد الرحمان بن رستموالأخرى قديمة. حيث يقول البكري: "وهذه تاهرت الحديثة وعلى خمسة أميال منها تاهرت القديمة وهي حصن لبرفجانة، وهو في شرقي الحديثة ويقال أنهم لما أرادوا بناء تاهرت قد تهدم فبنوا

---

[1]- **عبد الرحمان بن رستم**: أحد طلاب العلم الخمسة الذين تعلموا المذهب الإباضي في مدينة البصرة سنة 135هـ / 752م على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ثم عاد الى المغرب لنشر المذهب الاباضي،عين واليا على القيروان في دولة أبي الخطاب، انظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، **معجم أعلام الاباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحالي**، قسم المغرب الاسلامي، ج2، جمعية التراث، عالم المعرفة، 2009، ص283.

[2]- بحاز، المرجع السابق، ص82.

[3]- سليمان عبد الله الباروني، **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية**، ج2، دت، ص6.

[4]- أبوزكريا، المصدر السابق، ص53.

[5]- الباروني، الصدر نفسه، ص8.

حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة".[1] ولقد تعددت الروايات في ذكرها ووصفها ومنها وصف المقدسي: "هي اسم القصبة أيضا وهي بلخ المغرب، قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين...".[2]

هذه هي الأسباب التي دفعت عبد الرحمان بن رستم وأصحابه إلى اختيار موضع تيهرت عاصمة لدولتهم دون غيرها من المدن في المغرب الأوسط، إضافة إلى وفرة المياه والخلّف القائم بين عبد الرحمان وقبيلة لماية القريبة من تيهرت.[3]

الأوضاع السياسية:

عهد عبد الرحمان بن رستم:(161-171هـ/776-787م)

كان انتقال عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط إيذانا بظهور الدولة الرستمية التي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله وقبل الحديث عن الدولة، لابد من الإشارة إلى مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الذي أجمعت المصادر على أنه فارسي الأصل. وهنا اختلف المصادر في تحديد طبيعة هذا الأصل الفارسي[4]، فاليعقوبي يقول: "تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلح عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الفارسي".[5] أما ابن عذاري فيخبرنا أن بهرام جد عبد الرحمان كان مولى الخليفة عثمان بن عفان وهناك من ينسبه إلى رستم بن بهرام بن كسرى الملك الفارسي.[6] أما ابن الصغير المالكي فلا يذكر بأنه فارسي، إذن وفد عبد الرحمان إلى بلاد المغرب الإسلامي مع طوالع الفتح، وكان واحد من حملة العلم الخمسة الذين تلقوا مبادئ الاباضية على يد الداعية أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة.[7]

---

[1]-أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت ص67.

[2]- شمس الدين أبي عبيد الله محمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار الصادر، بيروت، ط2، 1909، ص228.

[3]-بحاز، المرجع السابق، ص88.

[4]- محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)**، دار القلم الكويت، ط3، 1987، ص76.

[5]- أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح اليعقوبي، **كتاب البلدان**، مطبع بريل، 1890م، ص143.

[6]- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ، ح س كولان و ليفى بروفنسال، ج1، دار الثقافة، لبنان 1983م ص196.

[7]- بحاز،المرجع نفسه، 89.

لقد انتقل عبد الرحمان بعد مقتل أبو الخطاب إلى الغرب الأوسط، فبويع بالإمامة من طرف الاباضية في سنة 162هـ/778م.[1] حيث يقول ابن الصغير:"هذا عبد الرحمان بن رستم لا قبيلة له يشرف بها و لا عشيرة له تحميه وقد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمان قاضيا، فاجمعوا رأيهم على ذلك ثم نهضوا إليه بأجمعهم، وقالوا :ياعبد الرحمان رضيك الإمام في ابتدائنا ونحن لأن نرضى بك..."[2].تميزت الأوضاع السياسية بالاستقرار والاضطراب في آن واحد، لأن الحياة السياسية بتهارت كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بحركة الخوارج في المشرق وخاصة البصرة[3].

لمابويع عبد الرحمان بن رستم بالإمامة قضى بذلك على الفوضى الضاربة في المغرب الأوسط والأدنى.[4]وشرع في العمل على توطيد حكمه وإرساء دعائم دولته، ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيام الدول سواء فيما يتعلق بسياسته الخارجية أو الداخلية[5]، وانكب بذلك على تثبيت أركان هذه الدولة ووضع دعائمها حتى يضمن لها البقاء والاستمرار، حيث يقول ابن الصغير: "لما ولى عبد الرحمان بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر مئزره، وأحسن سيرته، وجلس في مسجده لأرملة والضعيف..."[6] وهكذا شرع عبد الرحمان في تأسيس دولته، وكان عليه أن يبسط نفوذه على سائر القبائل داخل حدودها.ويستكمل إنشاء عاصمتها ويرسى نظامها في الحكم والإدارة حيث تلقى هذا الأخير الوفود والمساعدة والأحمال من الأموال.[7]

---

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج2، مكتبة مدبولي، القاهرة،ط1 ،1994م، ص43.

[2]- ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص ص29 30.

[3]- الحبيب الجنحاني، **المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ، 9-10م)** الدار التونسية للنشر، تونس، 1987، ص119.

[4]- بحاز، المرجع السابق، ص110.

[5]- محمود اسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، المغرب،ط 2،1985، ص151.

[6]- ابن الصغير، المصدر نفسه، ص32.

[7]- محمود اسماعيل، المرجع نفسه، ص151.

من إباضية المشرق والتي قدرت بثلاث أحمال، اتفق عبد الرحمان ورعيته على تقسيمها وجعل ثلث منها في الكراع وثلث يوزع على الفقراء والضعفاء من الناس، حيث قوي الضعيف، وانتعش الفقير، وحسنت أحوال الناس حسب قول ابن الصغير.[1]

خلفاء عبد الرحمان بن رستم:

– الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان (171–211هـ/787– 826م):

بعد وفاة عبد الرحمان بن رستم قامت الاباضية فعقدت الإمامة لابنه عبد الوهاب[2]. بعد أن ترك الإمام الأول الأمر شورى بين المترشحين السبعة للإمامة[3]، وتم اختيار اثنين منهما مسعود الأندلسي وعبد الوهاب[4]. وفي الأخير تم مبايعة عبد الوهاب فتولى هذا الأخير منصب الإمامة سنة (171هـ/787م) حيث واجهته العديد من الثورات الداخلية ومنها النكارية التي تزعمها يزيد بن فندين والتي تم القضاء عليها[5].وفي عهد عبد الوهاب عظم ملك الرستميين بتهرت، وازدهرت دولتهم وبلغت أقصى اتساعها في أيامه، فشملت أراضي واسعة من المغرب الأوسط وامتدت حدودها إلى الجنوب[6].

– الإمام أفلح بن عبد الوهاب (211 –240هـ/884– 826م) :

لقد تولى أفلح بن عبد الوهاب الإمامة سنة (211هـ/826م) بعد وفاة والده مباشرة، حيث عرف عهده بالهدوء والاستقرار، وبلغت الدولة في عهده أوج ازدهارها ونشطت التجارة.[7]

– الإمام أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب:(240–241هـ/854–855م)

تولى الإمامة بعد وفاة والده، فكانت مدة ولايته قصيرة،[8] كان يميل إلى الخمول والكسل، وترك شؤون الدولة لصهره محمد بن عرفه،حيث عرف عهده العديد من الخلافات بين القبائل وظهور الفتن

---

[1]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص35.

[2]– نفسه، ص43.

[3]– الحريري، المرجع السابق، ص137.

[4]– ابن الصغير، المصدرنفسه، ص43.

[5]– أبو زكرياء، المصدر السابق، ص ص56–84.

[6]– محمد حسن العيدروس، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث القاهرة ط 1، 2008، ص73.

[7]– نفسه، ص74.

[8]– بوزيان الدراجي، **دول الخوارج والعلويين**، الجزائر،ط3 ،2007، ص64.

هذا ماأدى إلى اعتزال أبي بكر منصب الإمامة.[1]

-الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح عبد الوهاب (241-281هـ/755-894م).

تولى الإمامة سنة 241هـ بعد عودته من السجن ببغداد.[2]إثر وقوعه في أيدي العباسيين شهدت تيهرت فترة من الاضطرابات والثورات، ونجح هذا الأخير في تهدئة الأوضاع[3] حيث عرفت الدولة الرستمية خلال فترة حكمه عدة إصلاحات داخلية، التي ساهمت في دعم مركز الدولة السياسي والاقتصادي والاجتماعي.[4]

- إمامة أبوحاتم يوسف بن محمد (281-294هـ/894-906م).

تولى أبو حاتم الإمامة عقب وفاة والده أبي اليقظان، حيث قامت عليه القبائل، فخرج من تيهرت، وكون جيشا من لواتة وقبائل الصحراء، ثم زحف على تيهرت وحاصرها، بعد أن عينوا أهل تاهرت عمه يعقوب بن أفلح منصب الإمامة، حيث اندلعت ثورة بين هذا الأخير وأبي حاتم[5]،وتم اللجوء إلى الهدنة[6]، وولي أبو حاتم الإمامة حيث عرف عهده تدهور الأوضاع الاقتصادية وظهور الأمراض.

- إمامة أبو اليقظان بن أبي اليقظان (294هـ-296هـ/906م-909م).

تولي الإمامة بعد مقتل أبي حاتم فعرف عهده ظهور الانقسام والاضطراب داخل الدولة وانفصال الصلة بين عاصمة الدولة تاهرت وأقاليمها الشرقية،[7] بالإضافة إلى ظهور الخطر الشيعي بقيادة أبو عبيد الله الذي قضى على الدولة الرستمية296هـ/909م[8].

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 72.

[2]- نفسه، ص85.

[3]- الحريري، المرجع السابق، ص169 وما بعدها.

[4]- الباروني، المصدر السابق، ص240.

[5]- ابن الصغير، المصدرنفسه، ص114.

[6]- مختار حساني، **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص39.

[7]- الحريري، المرجع نفسه، ص157.

[8]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 153.

-الحياة الاجتماعية والفكرية للدولة الرستمية:

عرفت الدولة الرستمية مجموعة من القبائل والأجناس التي عاشت في تاهرت، ومن القبائل البترية بالخصوص المناصرة للإباضية التي نزحت مع عبد الرحمان بن رستم واستقرت في تيهرت[1]، ومنها لماية، ولواته، وسدراته، ونفوسه وهوارة، ونفوسة، وزناتة[2] فضلا عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب الذين جاءوا من البصرة[3]، وظهروا خاصة في عهد الإمام أبي بكر.[4] ونجد إلى جانب هذه العناصر السكانية أقليات نزحت إلى تاهرت من الأمصار الإسلامية نتيجة الازدهار الاقتصادي على الإقامة بها مثل العجم والمسيحيين. ويخبرنا ابن الصغير بأنالرفاق أتت من كل الأمصار وأقاصي الأقطار هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان بصري، وهذه لفلان القروي.[5]

وكان من بين السكان أيضا جنود من جيش القيروان الأغلبي الذين نشب الخلاف بينهم وبين أميرهم فلجئوا إلى تاهرت، وكان في المدينة عدد من أهل الأندلس وعدد من الرقيق ومن المسيحين.[6]

- الحياة الفكرية:

لقد كان للأئمة الرستميين دورًا بارزًا في الاهتمام بالثقافة والعناية بالفكر باعتبارهم كانوا من العلماء البارزين، الذين لهم نصيب وافر من العلم.[7]ساهموا به في إنعاش الحياة الفكرية في المغرب الأوسط ونشر العلم والفكر الإباضي، حيث قاموا ببناء المساجد وجلب الكتب من المشرق، وكان عبد الرحمان بن رستم، قد أخذ العلم من المشرق ويعتبر من حملته إلى المغرب عند الإباضية.[8]كما كرس الأئمة الرستميين حياتهم لنشر العلم في المجتمع الإباضي، وحرصوا على القيام بذلك بأنفسهم. لأنهم كانوا في طليعة العلماء، واشتهر جلهم بالورع والعلم، فكان العلم شرطا أساسيا لتولي الإمامة. فكان بعضهم يقوم بالتدريس بجامع تاهرت، لم يقف الأمر بهم عند حد التعليم، وإنما اشتركوا أيضا

---

[1] - الجنجاني، المرجع السابق، ص111.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص159-160.

[3]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[4]- مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج4، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص291.

[5]- ابن الصغير، المصدر نفسه، ص36.

[6]- رشيد بورويبة، وآخرون، **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ص111.

[7]- أبوزكرياء، المصدر السابق، ص264.

[8]- بحاز، المرجع السابق، ص264.

في حركة التأليف[1].فقد ألف عبد الوهاب بن عبدالرحمان كتابًا سماه "مسائل نفوسة"، وكان أفلح بن عبد الوهاب عالما بالحساب والفلك والتنجيم[2].

كما عمل بنو رستم على إنشاء مكتبة ضخمة أطلق عليها اسم المعصومة والتي ضمت حوالي ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون.كما نبغ في العصر الرستمي عدد كبير من العلماء وبرزت العديد من المراكز العلمية الهامة على غرار تيهرت، وجبل نفوسة، وورجلان.[3]وقد شاركت المرأة في الحركة العلمية، فكانت أخت الإمام أفلح عالمة بالحساب والفلك والتنجم.[4]

– جغرافية السودان الغربي:

عرّفها المؤرخون والرحالة العرب بأنها المنطقة التي تقع في جنوب الأرض بأقصى بلاد المغرب[5] وتعرف ببلاد التبر، وهي أرض واسعة[6]ومقفرة[7].إلا مايقع على ضفاف نهر النيجر وما يصل الماء إلى بعض المساكن والمراكز.[8]ويصفها المسعودي "شمالها بلاد البربر وتتصل ببلاد الأدارسة نسبة إلى إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه من أرض المغرب، وكذلك تلمسان و تاهرت وبلاد فارس ثم السوس الأدنى"[9]، وشرقها الحبشة وغربًا البحر المحيط أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها[10]، وأهلها مسلمون وكذلك الكفار، ينبت الذهب بها.[11]

---

[1]– الحريري، المرجع السابق، ص237.

[2]– الجنحاني، المرجع السابق، ص ص138-139.

[3]– سالم عبد العزيز السيد، **تاريخ في العصر الإسلامي**، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية، 2011، ص ص489-490.

[4]– الحريري، المرجع نفسه، ص238.

[5]– أبوإسحاقإبراهيم محمد الفارسي الاصطخري، كتاب **المسالك والممالك**، طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل، 1927، ص11.

[6]– زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، دت، ص24.

[7]– **القفار**: هي البراري المتعسقة والأرجاء الخارجية من السكان، وتوصف بالاتساع وبعيدة المسافة وقلة الماء والأيحاش وصعوبة المسلك وما يجري ذلك أنظر أبي العباس أحمد القلقشدي، كتاب **صبح الأعشى في صناعة الانشى**، ج2، طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، 1912، ص178.

[8]– الحسن بن محمد الوزان الفارسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2 ،1983م ص72.

[9]– أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار المعارف، ط 5 1982م، ص13.

[10]– انظر: الملحق رقم 1.

[11]– فيج جي دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، ط1 ، 1982م، ص13.

ومما تمتاز به بلاد السودان وجود الحيوانات المتنوعة كالفيل والكركدن والزرافة وأول من أطلق بلاد السودان هم العرب.[1]

– ممالك السودان الغربي:

قسم المؤرخون بلاد السودان إلى ثلاث مناطق رئيسية:

– السودان الشرقي: ويشمل بلاد النوبة ومناطق جنوب النيل وأطلق عليه مصطلح الزنج.

– السودان الأوسط: ويضم المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

– السودان الغربي: ويتضمن حوض نهر السنغال، وغامبيا والمجرى الأعلى لنهر الفوتا والحوض الأوسط لنهر النيجر[2] حيث ظهرت به عدة مماليك ومنها:

– مملكة غانة: هي أول إمبراطورية قامت بهذا الجزء ويلقب ملكها بملك الذهب واسم غانة لقب أطلق على سائر البلاد، وسميت الأوكار والباعينا أو الهودا.[3]

وينسب ملكها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو صالح بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو ملك عادل[4]والطريق إلى غانة هو السير من سجلماسة إلى بلاد السودان إلى غانة مسيرة شهرين في الصحراء، وأشجار عظيمة مجوفة تجمتع فيها مياه الأمطار فيشرب منها المارة إلى غانة[5] وهذه الأخيرة مقسمة إلى قسمين. يقول البكري عنها: "وغانة سمة لملوكم واسم البلد أوكار ومدينة غانة مدينتان سهليتان..."[6]

وتضم مدينتان، فالمدينة الأولى تعرف بالغابة، ويقيم فيها الملك وحاشيته من الوزراء والكهنة ففي الوسط نجد مقر الملك وقاعدة العرش ،ويستقبل فيها الملك زُواره، فإذا تقدم أحد من الرعية إلى الملك مشى زحفا على ركبتيه، ويقوم بنثر التراب على رأسه والملك يخاطبهم عن الطريق وزرائه، أما القاعة الثانية فهي لعقد المحاكات ،وبها مساكن تعلوها القباب ،ويُقيم فيها الكهنة، كما يوجد بها مسجد

---

[1]– أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس لحمودي الحسيني الشريف الإدريسي، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق روبيناتشي وآخرون، مج 1، مكتبة الثقافة الريفية، دت، ص18.

[2]– بحاز،المرجع السابق، ص206.

[3]– يوسف روكز، **إفريقيا السوداء، سياسة وحضارية**،ط 2،1986م، ص56.

[4]– الإدريسي، المصدر نفسه، ص23.

[5]– القزويني، المصدر السابق، ص57.

[6]– البكري، المصدر السابق، ص175.

المسلمين، وبالجهة المقابلة نجد معبد تقام فيه الطقوس، ولا يدخله أحد، إلا الملك يدخله مرة في حياته، بعد إعلائه العرش.[1]أما المدينة الثانية، فهي كومبي صالح واسعة[2]، ويقطنها السوننك أو الساراكول، وهم فرع من زنوج الماندي[3]، وتعد مركز تجاري وأهم سوق لتبادل السلع وإعادة توزيعها ومنها الملح والذهب[4] ويقطنها المسلمون ولهم اثنتي عشر مسجدا.[5] وبلغت غانة ذروة مجدها خلال القرنيين الثالث ومنتصف القرن الخامس الهجريين[6].

لعل من أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار مملكة غانة هي:

1-ازدهار تجارة الصحراء وتأثيراتها الإيجابية على السودان الغربي والأوسط.

2-التأثيرات السياسية الخارجية الوافدة إلى السودان من قبل البلاد الغيرزنجية وهم من بلاد المغرب.[7]

3-الأمن الذي انعكس إيجابيا على اقتصادها، وكان عمادها الذهب والملح بحيث ارتبطت غانة بحركة اقتصادية داخلية لتبادل السلع بالمناطق التابعة لها، وأخرى خارجية ببلاد المغرب[8] إضافة إلى امتلاكها جيش قوى الذي تمكن من استعمال الأسلحة الحديدية مثل السيوف والرماح، بلغ تعداده أربعة ألاف محارب.[9]

---

[1]- فيج جي دي، المرجع السابق، ص24.

[2]- يحي بو عزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ص24.

[3]- **الماندي**:وتنقسم إلى ما ،ودي ،وتعني السيد أو الحاكم و تعني أيضا ما تدل على معنى الأم،و دنج تدل على الابن ،والكلمة مجمعة تعني ابن الأم،وهم قبائل حكموا مملكة غانا ،انظر: الهادي المبروك الدالى، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيها وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية، القاهرة، 1999م،ص ص 48- 49.

[4]- جوان جوزيف، **الإسلام في مماليك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، ترجمة مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، ط1، 1984، ص12.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام**، ط1، 1988، ص111.

[6]- المبروك الدالى،المرجع نفسه ، ص13.

[7]- فيج جي دي، المرجع نفسه، ص27.

[8]-المبروك الدالى، المرجع نفسه، ص37.

[9]- باسل دافيسون، إفريقيا **تكتشف من جديد**، ترجمة سعد زغلول ونبيل بدر،مصر ،2001، ص43.

– **الأوضاع الاجتماعية والدينية:** تعاقب على حكم غانة عنصرين هما:

– **حكم البيضان:** الذين هاجروا من برقة خلال القرن الأول الميلادي [1]وأصلهم من البربر وهم من المغرب واستقروا بغانة[2]،ولغتهم هي لغة الماندي وقد اعتنقوا الإسلام.[3]

– **حكم السونك:** حكمت هذه الأسرة في نهاية القرن الثامن الميلادي وتعرف بأسرة سيسي. ومن أشهر حواضر غانة، أودغست وسكنها العرب المسلمين، وقبائل السوننك، وجدالة ومسوفة ،ولمتونة أحدى قبائل منهاجة وأوكار هي أول نواة الإمبراطورية وتقع في الوسط وممالك عرب المغاربة في الشمال وديار أوتاكنت، وباسكوري الشرق، ووجادوو، كانياجا، وبغن في الجنوب والجنوب الشرقي.[4]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإسلام كان يُدين به عدد من السكان وبعض الحكام منهم ملك ملل[5]إلا أن بعض قبائل السوننك احتفظوا بعقائدهم خاصة عبادة الآلهة الثعبان[6] الأكبر واجادوبيدا يعيش في كهف مظلم داخل الغابة المقدسة، ويعتقد سكان غانةأنه سر ازدهار إمبراطوريتهم لكن بعد موته سقطت الإمبراطورية.[7]

ومن تقاليد الحكم أن يعقد الملك مجلسًا للنظر في المظالم ولايخرج حتى تجمع ألف حزمة يضعونها أمام داره، وتشعل فيها النار للإضاءة عندما يجلس في منصة من الذهب الأحمر، وكان يتزين بالعقود والأساور وكان خدمه يحملون أسلحة وخيول مزينة بالذهب[8]،وبعد جلوسه يأمر بعشرة آلاف من الموائد للأكل والملك لا يأكل وبعد انتهاء الأكل يدخل الملك، أما الرعية فلا تقوم حتى تصبح

[1]- Maurice Delafosse,**les Noire de la frique** ,payotparice , 1922 , p 39 .
[2]-MelaineAlfred,**L'afriquea travers les âges**,paris,1914, p 19.

[3]-Maurice de Lafosse,**lange mande ou mandingue** , Ernest Leroux, editeurreuebonapart , 1900 , paris p 4.

[4]– المبروك الدالى، المرجع السابق، ص32.

[5]–نفسه، ص41.

[6]– هوبير ديشان، **الديانات في إفريقيا السوداء**، ترجمة أحمد صادق حمدي مراجعة محمد عبد الله دراز تقديم مصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ص34.

[7]– جوزيف، المرجع السابق، ص58.

[8]– دنيس يوليم، **الحضارات الإفريقية**، ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان ،1974، ص 49.

الحزمات رمادًا.[1]وإذا توفى الملك يدفن معه طعامه وشرابه وخدمه، وتقدم له القرابين البشرية في الاحتفالات القومية[2]، وولي عهد الملك هو ابن أخته[3].

ويمكن إجمال عوامل انهيار غانة إلى عوامل داخلية وعوامل خارجية:

1-الداخلية: هجرة الناس بفعل الجفاف خلال القرن الخامس الهجري[4] حول حوض السنغال وتأسيس مراكز جديدة كاولاتن وكذلك الصراع بين ملك الصوصو سومانجور، وإعلان استقلاله عن غانة .[5]

2-الخارجية: جهاد المرابطين واستيلائهم على غانة بقيادة الأمير أبي بكر بن عمر سنة 1076 1051م، وسقطت غانةوكان من نتائجها دخول القبائل في الإسلام مثل السوتوكلور السراكولي الديولا وبعض من قبائل الماندينج.[6]

- مملكة أودغست:

مدينة إسلامية اشتهرت كمركز تجاري وطريق لدى التجار،[7]وهي إقليم واسع وكذلك اسم عاصمته.تقع على مسيرة أكثر من أربعين يوما من سجلماسة عبر الرمال والصحاري ويذكر ابن حوقل: "وأودغست مدينة لطيفة أشبه ببلاد الله مكة... لأنها بين جبلين ذات شعاب، ومن أودغست إلى غانة بضعة عشر يومًا"[8]، أما البكري فيقول: "هي مدينة كبيرة آهلة رملية يطل عليها جبل كبير... بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلمون للقرآن، وحولها بساتين النخيل ويزرع فيها القمح"[9].فأصبحت مركز إشعاع حضاري خاصة بعد دخولها الإسلام باحتوائها على عدد من المساجد، كما كانت محطة هامة للتبادل التجاري.[10]

---

[1]- المبروك الدالى، المرجع السابق، ص49.

[2]- فيج جي دي، المرجع السابق، ص34.

[3]-يوليم، المرجع السابق ص49.

[4]- الدالى، المرجع نفسه، ص42.

[5]- فيج جي دي، المرجع نفسه، ص50.

[6]- دندش، المرجع السابق، ص158.

[7]- الجنحاني، المرجع السابق، ص173.

[8]- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص91.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص158.

[10]- اسماعيل العربي، **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص114.

_ الجانب الاجتماعي والفكري:

إن التطور الحاصل في البنية الاجتماعية في أودغست هو ناتج للتطور التجاري حيث تجمعت الثروة في فئات اجتماعية جديدة خاصة فئة التجار[1]، ومنهم القبائل البربرية المنحدرة إليها ولاسيما بطون صنهاجة، ومن عناصر افريقية ويذكر البكري هذه الفئات قائلاً: "وسكانها أهل افريقية وبرقجانة ونفوسة ولواته وزناته ونقراوة وبها نبذ من سائر الأمصار".[2] هؤلاء التجار قاموا بنشر الإسلام ونقل الثقافة العربية في منطقة السودان خاصة منهم العلماء والطلاب.[3]

– مملكة كؤكو:

هي اسم أمة من بلاد السودان من الإقليم الأول[4]، ويقول الإدريسي: "وملكها قائم بذاته خاطب لنفسه، وله خدم كثير ويمتاز أهلها بالشدة والبأس، ولباسهم الجلود"[5]، ومن أشهر المماليك التي تخضعلمملكة كوكو نجد: مملكة ارور والهوبر، وتحت يد ملك كوكو عدة مماليك يعطون له الطاعة ويقرون له بالرئاسة فمنهم مملكة المرو وهي مملكة واسعة،ومملكة يقال لها الحيا، ومملكة مردية، ومملكة بقارون فهذه كلها تنتسب إلى مملكة الكوكو[6]."ويدين أهلها بالإسلام ولهم عدة مساجد يُصليفيها المسلمون ولهم المواشي والملح".[7]

---

[1]– الجنحاني، المرجع السابق، ص215.

[2]– البكري، المرجع السابق، ص153.

[3]– دندش، المرجع السابق، ص157.

[4]– شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، **معجم البلدان**، مج 4، دار صادر، بيروت، 1977، ص494.

[5]– الإدريسي، المصدر السابق، ص28.

[6]– جودت، المرجع السابق، ص 242.

[7]- ياقوت الحموي، المصدرنفسه، ص495.

المبحث الأول :**عوامل نمو النشاط التجاري بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء.**

1- العوامل الطبيعية (الجغرافية).

2- العوامل السياسية والثقافية.

3 -العوامل الاقتصادية.

المبحث الأول: عوامل نمو النشاط التجاري بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء.

تمتلك معظم الدول والشعوب عدة مقومات وثروات طبيعية ساهم في نمو نشاطها التجاري فما هي تلك المقومات؟

1-العوامل الطبيعية (الجغرافية):

أ-الدولة الرستمية:

إن التنوع الطبيعي الذي تميزت به الدولة الرستمية والذي يشمل المغرب الأوسط والأدنى ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء وهي:

الجزء الأول الشمالي: المحاذي للبحر المتوسط أو الروم [1]،والذي يمتد من الإسكندرية إلى طنجة [2]ويحده من الجنوب سلسلة الأطلس التلي التي تسمى درن بالمغرب الأقصى و بتهرت جزول، وأما بالزاب في المغرب الأوسط فتعرف بجبال الأوراس [3]، حيث يمتاز هذا الجزء بالسهول الواسعة والخصبة وبالمناخ الجيد مما أدى إلى وفرة الأنهار والأودية مثل نهر الشلف ونهر مينا وملوشات[4] ونهر تشاش، وبالمغرب الأدنى جبال نفوسة، وهو صالح للزراعة خاصة الحبوب والفواكه نتيجة غزارة الأمطار.[5]

---

[1]- بحاز، المرجع السابق ،ص 137.

[2] - جميلة بن موسى، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى القرن 11م**، منشورات بلوتر، الجزائر، دت ص13.

[3] - بحاز، المرجع نفسه، ص137.

[4] - محمد علي دبوز،**تاريخ المغرب الكبير**، ج3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر، 2013م، ص246.

[5] - ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق، ص294.

الجـزء الثـاني الأوسـط: يقـع بـين الأطلـس التلـي شمـالا وسلسـلة جبـال الأطلـس الصـحراوي جنوبايشتهر بالمناطق الرعوية وتربية المواشي وهي أراضي صالحة للزراعة.[1]

الجزء الثالث الجنوبي: وهي في حدود الأطلس الصحراوي في الصحراء الكبرى، ويتميز بمساحته الشاسعة بالنسبة للمغرب الأوسط واحات مثل واحة ورجلان، وبلاد سوف، وأريغ الجريد مما يجعلها محط استقرار للقبائل البربرية مناخه جاف.[2]

ويذكر موريس لومبارد أن أراضي الدولة الرستمية تمتد من المغرب الأوسط في اتجاه جبل نفوسة وواحات غدامس، وفزان وطرابلس، وجزيرة جربة والجنوب الغربي لتشمل الأراضي الواقعة في جنوب أراضي الدولة الأدارسة وامتد سلطانهم حتى سجلماسة، والسوس الأقصى ولمطة وشواطئ المحيط الأطلسي.[3]

إن هذا الامتداد الجغرافي أعطى للدولة الرستمية أهمية إستراتيجية في مجال العلاقات الاقتصادية والتجارية.[4]

ب–شعوب جنوب الصحراء (السودان الغربي):

تستعمل لفظة السودان الغربي للتميز بينها وبين السودان الشرقي، واستعمل المصطلح في التاريخ الإسلاميللدلالة على جنوب الصحراء الكبرى، للتفريق بينها وبين شمال افريقية والتي تعرف بدول المغرب الإسلامي[5]،وفتح السودان الغربي وتغلغل الإسلام فيه [6] فقد فتح عقبة بن نافع الفهري منطقة فزان و غدامس،وقسطيطلة وتوزر. وهذا ماذكره ابن الحكم "...ثم مضى على

---

[1]– عبد القادر جغلول،**أعمال تاريخ الجزائر والمغرب العربي**، ترجمة فضيلة الحكيم، ج1، ذاكرة الناس، 2013م، ص69.

[2]– موريس لومبارد، **الإسلام في مجده الأول من القرن 2 الى القرن 5هـ /8–10م**،ترجمة إسماعيل العربي،منشورات دار الأفاق الجديد، المغرب 1990،ص322 .

[3]– عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص46.

[4] – نور الدين شعباني، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين 10و15م**، رسالة ماجستير في التاريخ العلاقات بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي، إشراف موسى لقبال، الجزائر 2006، ص3.

[5] – جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص19.

[6] – موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص 29.

جهته من فوره ذلك إلى قصور فزان، ففتحها قصرا قصرا حتى انتهى إلى أقصاها... ثم بعث خيلا إلى غدامس ففتحت غدامس، وافتتح قسطيطلة كما غزى عبد الله حبيب بن أبي عبيدة الفهري السوس وأرض السودان، وأصاب ما شاء من ذهب".[1]

إذن فتحت بلاد السودان عبر العديد من الحملات التي قادها ولاة المغرب الإسلامي إلى تلك المنطقة، وتعد تلك الواحات والمفازات همزة وصل بين المغرب وبلاد السودان [2] بواسطة كوار وفزان.[3] أي لها امتداد جغرافي عبر الصحراء الكبرى حيث يقول القزويني "ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط "[4]، وعليه فإن الامتداد الجغرافي للسودان الغربي يمتد من المحيط الأطلسي غربا، وبحيرة تشاد شرقا، ومن الصحراء الكبرى شمالا حتى خليج غانة الكبير جنوبا، وتشمل بلاد السودان مملكة غانة التي امتدت نفوذها إلى القسم الغربي من السودان.[5] وهذا ما ذكره المسعودي:"أن تحت يد ملك غانة عدة ملوك ومماليك كلها فيها الذهب."[6] ومملكة كوكو و أدغست.[7]

وعرف هذا الإقليم من الشمال إلى الجنوب بمنطقة الصحراء الكبرى، ومناخها جاف ولكن تتخلله بعض الواحات الخضراء ذات المياه، فأصبحت محطات لتسهيل مهمة القوافل التجارية واحة فزان، وواحة توات بالجنوب. كما توجد في منطقة الصحراء أنهار ومنها نهر السنغال والنيجر ويعتبر أطول الأنهار وفيه أجزاء صالحة للزراعة والملاحة.[8]

---

[1] – ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، ج1، الذخائر، القاهرة،دت، ص293.

[2]– نبيلة حسن محمد، في **تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، دت، ص،189.

[3] – يوليم، المرجع السابق،ص116 .

[4] – القزويني، المصدر السابق، ص24.

[5] –خالد بلعربي، العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي (160-296هـ/777-909م، مجلة كان التاريخية، ع 8 ، 2010 ص69.

[6] –المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص4.

[7] – بالعربي، المرجع نقسه،ص69 .

[8] – فيصل محمد موسى، موجز **تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر**، مراجعة ميلاد المقرحي، منشورات الجامعة، بنغازي،1987م، ص ص 45 47.

العوامل السياسية:

عملت العلاقات التجارية على ربط صلات سياسية بين ملوك السودان وحكام المغرب الإسلامي، خاصة الدولة الرستمية باعتبارها أول كيان مستقل في بلاد المغرب، حيث ربطت هذه الأخيرة العديد من العلاقات السياسية، والتجارية مع دول الجوار، ومع الخلافة العباسية التي تميزت بالعداء الشديد نتيجة الخلاف المذهبي، واقتطاع الرستميين جزءا كبيرا من بلاد المغرب (الأوسط والأدنى) الذي كان خاضعا للخلافة العباسية. وكذلك أقام الرستميون علاقات مع دويلات المغرب كالأغالبية والأدارسة والتي تميزت بحسن الجوار رغم الثورات التي قامت بينهما، ومع الأمويين بالأندلس في عهد الإمام عبد الوهاب بن رستم وخلفائه،[1] وكذا مع شعوب جنوب الصحراء ابتداء من دولة بني مدرار [2]بسجلماسة، باعتبارها منفذا هاما يصلهم ببلاد السودان الغربي والذي نحن بصدد دراسته.

إذن عمل الرستميون على ربط علاقات سياسية مع دولة بني مدرار بسجلماسة وتوطدت بينها أواصر الصداقة، باعتبار دولة بني مدرار دولة صغيرة، كانت بجوار دولة الأدارسة الذين يحاربون أصحاب النحل المتطرفة من الخوارج.[3] وازدادت الروابط بين الطرفين بسبب زواج اليسع بن إلياسمن أروى بنت عبد الرحمان بن رستم وكان على المذهب الإباضي الصفري حيث يذكر ابن خلدون:"أن اليسع أصهر لعبد الرحمان بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته أروى"[4]" وهذا ما وثق العلاقة السياسية بين الطرفين كما يدل ذلك على وجود اتصالات شخصية كانت

[1] – عبد العزيز فيلالي،**العلاقات السياسية بين الدول الأموية في الأندلس ودول المغرب**، دار الفجر للنشر والتوزيع،القاهرة، ط2، 1999م ص96.

[2] – **دولة بني مدرار**: قامت الى الجنوب الغربي لحدود الدولة الرستمية على أساس المذهب الصفري، أنظر: لسان الدين بن الخطيب، **تاريخ المغربالغربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من كتاب أعلام الأعلام،تحقيق أحمد مختار العيادي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص137.

[3] – الحريري، المرجع السابق، ص ص206-207.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص172.

تتم بين بني مدرار وبني رستم. وعقد اتفاقيات تجارية بين عبد الوهاب بن عبد الرحمان واليسع بن إلياس بحكم اشتغالهم بالتجارة.[1]

وما يستخلص أن اليسع سعى إلى هذا الزواج رغبة في كسب حليف قوي يحميه من الأدارسة، وقد أنجبت أروى لمدرار ولدا سماه ميمون وهو الذي لعب دورا هاما في دولة بني مدرار [2] كانت العلاقات السياسية إذن قوية بين الرستميين، والمدراريين مما فتح المجال للتبادل الثقافي والتجاري بينهما. فانتشر المذهب الإباضي بسجلماسة. وهذا ما أشار إليه الباروني بقوله:" وكانت عامرة بالإباضية حافلة بعلمائهم يؤمها الأدباء ورجال العلم من أطراف البلاد ...كما يؤمون تيهرت"[3].

أما العلاقات التجارية فكانت نشيطة لأن طرق التجارة الرستمية إلى بلاد غانا وكوكو يمر بسجلماسة[4].كما ربطت دولة بني مدرار علاقات مع بلاد السودان نظرا لموقعها الهام في الركن الجنوبي من الصحراء، وجعل منها بوابة الصحراء النافذة إلى بلاد السودان من خلال تجارة القوافل.[5]

العلاقات السياسية والثقافية مع السودان الغربي:

أقامت الدولة الرستمية علاقات سياسية وتجارية مع بلاد السودان والتي تعتبر من أقدم العلاقات مع مملكة النخلة وأورام التي تقع على الساحل الجنوبي لبحيرة تشاد.[6] لكن هذه الممالك الكبرى تفككت في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، مما فتح المجال لظهور ممالك جديدة

[1] – عبد الكريم يوسف جودت، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، مذكرة لنبيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي،إشراف موسى لقبال، الجزائر، 1978م، ص211.

[2] –عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص486.

[3]– الباروني، المصدر السابق، ص ص78–79.

[4] – الحريري، المرجع السابق، ص208.

[5]- شعباني، المرجع السابق،ص 135 .

[6] – بحاز، المرجع السايق، ص208.

ومنها غانا ومملكة كوكو أو جوجو،التي عقد الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب[1] علاقات ودية مع ملكها، حيث أوفد سفارة إلى مملكة كوكو بقيادة محمد بن عرفة [2]حاملا معه هدايا، وكانت هذه البعثة مع الملك الغاني تاكلان أو خليفته (بلوتان) والتي تزامنت فترة حكم مع الإمام أفلح بن عبد الوهاب مابين180/ 230 هـ. 796-846 م.[3]

حيث يذكر ابن الصغير هذه السفارة "...وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة، وكان وسيما جميلا، جوادا سماحا، وكان قد وفد على ملك السودان،نظير ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته إذا ركب الخيل ... وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية ."[4]

وما يستنتج من هذا النص أن ملك السودان قد أعجب بشخصية محمد بن عرفة حيث كان هذا الأخير صهر الإمام الرستمي أبي بكر بن أفلح، الذي تزوج أخت بن عرفة، كما تزوج هذا الأخير تزوج بأخت أبي بكر، حتى أصبحت الإمارة بالاسم لأبي بكر، وبالحقيقة لمحمد بن عرفة [5]فكانت له مكانة مرموقة عند الرستميين،لذلك اختاره الإمام أفلح بن عبد الوهاب للقيام بتلك السفارة، ويتضح من خلالها اهتمام الرستميين البالغ في ربط علاقات ودية مع ملوك السودان،خاصة وأنها تزامنت مع عهد قوة وعظمة إمبراطورية غانة وسيطرتها على السودان الغربي[6].وهو ما يدفعنا إلى فرض احتمال أن السفارة كانت إلى تلك المملكة والتي تحملت صبغة تجارية بالدرجة الأولى أكثر منها سياسية لخدمت المصالح الاقتصادية.[7]

---

[1]- **أفلح بن عبد الوهاب**: ثالث الأئمة الرستميين كان فقيها وكاتبا وشاعرا اشتهر بالعلوم الدينية والأدب، أنظر: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،لبنان، ط2، 1980،ص147.

[2] - جودت، المرجع السابق، ص237.

[3] - انظر الملحق رقم 2.

[4]-ابن الصغير، المصدر السابق،ص71.

[5] - نفسه، ص72.

[6] -شعباني،المرجع السابق،ص 137.

[7] - جودت، المرجع السابق، ص239.

إذن كانت هناك علاقة ودية بين الدولة الرستمية ومملكة كوكو التي كانت تبعد عن تاهرت بمسافة ثلاثة أشهر تقريبا.[1] ويعد الإمام أفلح من أشد المتحمسين لربط علاقات مودة وصداقة مع بلاد السودان حيث كانت له رغبة في السفر إلى بلاد السودان عندما كان صغيرا بغرض التجارة.[2] ولعل أهم العوامل التي جعلت الرستميين يهتمون بجاو (كوكو) خلال الفترة (القرن الثامن للميلاد والثاني للهجرة) فهذه الأخيرة كانت مقر للجالية اباضية ،[3] التي ساهمت بنصيب كبير في انتشار الإسلام في السودان لأن الإسلام صاحب التجارة .فقد كان التجار يمثلون الطلائع التي وصلت بالدين الاسلامي إلى المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى [4]، حيث يذكر ياقوت الحموي :" كوكو اسم أمة وبلاد من السودان، وملكهم يظاهر رعيته بالإسلام، وله مدينة على النيل ...وبها مسجد يصلي فيه، وجميعهم مسلمون ورؤساء أصحاب القمصان والعمائم، مملكة أعمر من مملكة زغاوة.[5]

العوامل الثقافية:

انتشر الإسلام منذ وقت مبكر إلى السودان الغربي يعود إلى أواخر القرن السابع الميلادي ومطلع القرن الثامن الميلادي[6]، فدخل على شكل عقيدة ودين، وساهم في نقل الثقافة الإسلامية باعتبارها رسالة حضارية.[7] فمنذ عهد عبد الرحمن بن رستم حصل اتصال واحتكاك مباشر بين تجار تاهرت وسكان الصحراء [8]،وهذا ما أشار إليه الإدريسي أن أهل كوكو يدخلون التجار ويجالسونهم .[9]

---

[1] – الباروني، المصدر السابق،ص 174 .

[2] – جودت، **العلاقات الخارجية**، ص244.

[3] – شعباني، المرجع السابق، ص137.

[4] – دبوز،المرجع السابق، ص345.

[5]–ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4،ص495.

[6] – بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية**، ص 141.

[7] – شعباني، المرجع نفسه، ص 168.

[8] – جودت،المرجع نفسه، ص 287.

[9] – الإدريسي، المصدر السابق، ص 28.

إذن فالتاجر الاباضي لم يكن يحمل معه السلع، والبضائع للمبادلة فقط بل وفد مع التجار عدد من العلماء والفقهاء الذين كان أكثر اهتمامهم بالدعوة الإسلامية من اهتمامهم بالأنشطة التجارية .فكان لهم نفوذ كبير بين السكان المحليين، والملوك فنشروا المذهب الإباضي بينهم[1]، ومن جملة الإباضيين الذين وصلوا إلى بلاد السودان الغربي نجد أبي نوح الصغير، وأبي نوح سعيد يخلف وأبي القاسم يونس الفرسطائي، وأبي موسى الوساني وأقاموا هناك .كما عملوا أيضا على نشر اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن فنجد السكان المحليين يجيدون الحديث باللغة العربية إلى جانب لهجاتهم المحلية [2]،فتركوا آثارا إسلامية في تلك النواحي فقد عثر على شكل مدرج منارة واسع الانتشار في السودان الغربي أخذ من اباضية الجريد بينما أخذ شكل المحراب من اباضية ميزاب أي يرجعان إلى فن العمارة الدينية الاباضية والمرجح أن هندسة محراب ميزاب صورة عن محراب تاهرت[3]، ويشير ابن بطوطة إلى وجود اباضية يقيمون في قرية زاغري التي تقع على بعد عشرة أيام من ايولاتن وهم بيضان لهم مذهب اباضي.[4]

ومن هذا نستنتج أن التأثير الثقافي الاباضي الرستمي في جنوب الصحراء ظل بسيطا ونسبيا لبعد المسافة عن بلاد المغرب الإسلامي. ومما تجدر الإشارة إليه أيضا انتشرت طرق صوفية والمساجد بالسودان الغربي إلا أنها كانت متأخرة تعود إلى عهد المرابطين خلال القرن الرابع والخامس الهجريين.

[1]- خالدي، المرجع السابق، ص 86.

[2] - شعباني، المرجع السابق، ص 168.

[3]- جودت،المرجع السابق،ص 288.

[4] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 247.

العوامل الاقتصادية:

1-الدولةالرستمية

أ-الزراعة والرعي:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي فترة طويلة من الفتن والاضطرابات وانعدام الاستقرار تدهورت من خلالها أحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية نتيجة تلك الثورات، لكن بعد ذلك هدأت الأوضاع السياسية في البلاد حيث عرف المغرب الإسلامي نهوضا اقتصاديا.[1]

عرفت الدولة الرستمية بجغرافيتها المتنوعة زراعة مزدهرة شملت مختلف الأقاليم التي احتواها. ففي منطقة تيهرت المرتفعة حيث الجو البارد وكثرت الأمطار،تنوعت المتوجات الزراعية.[2]حيث يذكر ابن الصغير أن تهيرت لما استقبلت الأموال من المشرق في عهد عبد الرحمان بن رستم وزعت على الفقراء الكرع والسلاح، مما بعث نشاطا في المدينة، فشرع الناس في غرس البساتين وإجراء الأنهار واتخاذ الرحاء والمستغلات [3] .ومما ساعد على ازدهار الزراعة والنشاط الفلاحي وجود الأنهار المحيطة بتهرت ومنها نهر شلف،ومينا،وتاتش،ووادي سوفحج.[4]ويؤكد الأصطخري أن مدينة تيهرت كبيرة خصبة، واسعة البرية و الزروع والمياه، وبها الاباضية، وهم الغالبون عليها.[5] أما المقدسي فيقول بأن تيهرت بلخ المغرب قد أحدق بها الأنهار، والتفت بها الأشجار وغابات في البساتين ونبتت حولها الأعين.[6]

إذن احتلت الدولة الرستمية موقعا جغرافيا هاما[7] من خلال السيطرة على السهول الخصبة ومنها سهول أسرسو في جنوب تيهرت، وسهول وادي شلف، وسهول الساحل [8]، والسهول العليا

---

[1] -الحريري، المرجع السابق، ص230.

[2]-بحاز،المرجع السابق، ص ص142-145.

[3] - ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[4] - مختار حساني،**الحواضر والأمصار الجزائرية**، ج3، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر،2011، ص226.

[5] - الأصطخري، المصدرالسابق، ص39.

[6] - المقدسي، المصدرالسابق، ص490.

[7]-أنظر: الملحق رقم 03.

[8] - سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص490.

والتلال [1]، وهذا ما ساعد على زراعة الحبوب والثمار مثل القمح، والسفرجل والنخيل الذي كان أساس معيشة السكان.[2]ويذكر ابن الصغير أن أحد سكان تيهرت الأغنياء كان يملك على مقربة من المدينة حقلا جمع فيه الأشجار والأنهار والمزارع والقصور .[3] وحتى الأئمة الرستميين كانوا يملكون أراضي زراعية خارج المدينة.[4]

يتضح من خلال المصادر الجغرافية أن حاضرة الرستميين تتميز بموقع جغرافي إذ تقع في منطقة مرتفعة وبين الجبال، وعلى محاذاة الصحراء في آن واحد أتاح لها أن تكون أرضا زراعية خصبة صالحة لزراعة النخيل في الواحات الخصبة بالصحراء الكبرى، وورجلان، وبلاد الجريد وواحات وجبل نفوسة.[5] وهذا ما ذكره مؤلف مجهول "...وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع ...كثيرة المياه "[6]ويزرع في هذه الواحات التي كانت تابعة لها، الحبوب والنخيل والشعير والزيتون والفواكه.

لقد تعددت المنتوجات الزراعية في الدولة الرستمية نتيجة امتدادها الجغرافي الواسع حيث نجد الحبوب مثل القمح والشعير والحنطة، والنخيل والزيتون، والثمار كالتين والكروم السفرجل[7]، وعليه يقول البكري:"جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الأفاق حسنا وطعما، وسفرجلها يسمى بالفارس".[8]

---

[1]– عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص69.

[2] – بحاز،المرجع السابق، ص145.

[3] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص61.

[4] – حساني، المرجع السابق، ص227.

[5] – صالح معيوف مفتاح، **جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى القرن الثالث**، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،2006، ص41.

[6] – مجهول، **كتاب الاستنصار في عجائب الأمصار**، تعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية،العراق، د ت، ص150.

[7] – جودت، المرجع السابق، ص، ص39 وما بعدها.

[8] – البكري، المصدر السابق، ص67.

الرعي: كانت تربية المواشي في بلاد المغرب الإسلامي مرتبطة بالزراعة، وتعتمد على المحصول الزراعي في الإنتاج الحيواني أو الماشية، ومنه يذكر معظم الجغرافيون أن بلاد المغرب الأوسط كانت أراضي زراعية رعوية خاصة تربية المواشي وهذا ما أكده اليعقوبي على أنها"بلاد زرع وضرع ".[1]

ويذكر ابن حوقل عن تاهرت وأحوازها "...وهي أرض أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين والخيل...وأما البقر والغنم فكثيرة بها جدا"[2]

وعليه نستنتج من هذه النصوص أن الدولة الرستمية سادت بها تربية المواشي نتيجة وجود المراعي الواسعة في السهول العليا والجبال والتلال[3]، فكان الرعي هو الحرفة السائدة بين السكان.[4]وقد أشار اليه موريس لومبارد بأن المغرب الأوسط الموطن الأول لتربية الغنم والبقر وإنتاج الصوف ابتداء من القرن الثاني الهجري الثامن ميلادي .[5] كما اهتم الأئمة الرستمين بتربية المواشي، وكانوا ملاك لها كأبي القيظان وأبي حاتم، ويذكر الشماخي أن ابن زلغين كان من ملاك الماشية، حيث يملك ثلاثون ألف ناقة وثلاثمائة ألف شاة واثني عشرة ألف حمارا.[6] واستعمل العبيد في خدمة الأرض وتربية المواشي.[7]

أما في المناطق الصحراوية فالجمل هو أهم حيوان في تلك الربوع الشاسعة إلى جانب الأغنام والماعز، إذن كان الرعي هو النشاط الأساسي لسكان الرستميين.[8]

---

[1] – اليعقوبي، المصدر السابق، ص 144.

[2] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[3] – رشيد بن رويبة، **مدن مندثرة،تيهرت،سدراتة،أشير،قلعة بني حماد**، سلسلة فن وثقافة الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1981م ص27.

[4] –محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص148.

[5] – لومبارد، المرجع السابق، ص 254.

[6] – الشماخي، المصدر السابق،ص202.

[7] – عبد الكريم يوسف جودت،**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3–4هـ/9–10م)**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ص21.

[8] – بحاز، المرجع السابق، ص162.

ب–الصناعة:

رغم وجود حرف وصناعات تلبي الاحتياجات المحلية للسكان، وتعتمد على الإنتاج الزراعي إلا أن المصادر لا تشير إلى هذا الجانب بالتفصيل اللّهم إلا بعض الإشارات، أن تيهرت كانت تضم أنواعا من الحرف وعددا من الحرفيين، فقد أشار ابن الصغير هؤلاء الحرفيين لكن دون أن يحدد نوعية حرفتهم .[1]

ويمكن القول أن عاصمة الرستميين تاهرت كانت لا تقل في النشاط الحرفي عن الحواضر المغربية الأخرى كالقيروان و فاس،حيث احتوت تيهرت على عدد من الحرفيين ومنهم النجارين والحدادين والخياطين والدباغين[2]، وغيرها من الحرف و الصنائع .لأن تيهرت قصدها الوفود والرفاق من كل الأمصار كما يقول ابن الصغير "... قصدها الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار... ليس أحد نزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان القروي، كما سكنها الأندلسيين والعجم وغيرهم".[3]

ويتضح من القول أن تيهرت ضمت العديد من الأجناس ولعلهم أدخلوا معهم الصناعات والحرف من تلك الأمصار والأقطار. فكان لهم دور بارز في اقتصادها، ومن أبرز الصناعات التي عرفتها الدولة الرستمية التي ارتبطت بشكل مباشر بالزراعة وتربية المواشي.[4] فقد عرفت صناعة وسائل الزراعة مثل المحاريث والمناجل والفؤوس وغيرها. وكذلك وجود معاصر الزيتون نظرا لتوفر أشجار الزيتون في بلاد المغرب.[5]فمن المحتمل وجود هذه الصناعة في تيهرت وجربة وجبل نفوسة بالذات وبقرية أجناون التي تدور بها المياه على اثني عشر ألف زيتونة [6]،وجود صناعة مطاحن

---

[1] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص35–36.

[2] – بحاز،المرجع السابق، ص 167.

[3] – ابن الصغير،المصدر نفسه، ص 36.

[4] – جورج مارسيه،**بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية 1991م، ص 129.

[5] – لومبارد، المرجع السابق، ص246.

[6] – الشماخي،المصدر السابق، ص187.

القمح والشعير في الدولة الرستمية نظرا لتوفر الحبوب [1]،وهذا ما دلت عليه المصادر الجغرافية ومنه يذكر البكري أن لتيهرت بابا تعرف باسم باب المطاحن.[2]

أما عن الحرف التي تقترن بالماشية نجد الجلود والصباغة التي مارسها البربر منذ القدم، ومنها يصنع النعال والسروج والأغطية، وكذا السعف والحصير الذي يصنع من النخيل ومنه يقول ابن الصغير:"أن عبد الرحمان بن رستم كان يجلس على الحصير ".[3] وعليه فإن أهم الحرف التي كانت في عهد الرستميين هي صناعة النسيج التي تعتمد على الوبر والصوف والكتان والحرير، وانتشرت عند البدو الحضر وخاصة المرأة الرستمية[4].مما يدل على توفر المنسوجات فيتيهرت وأحوازها، وقد أشار ابن الصغير بقوله "...فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء..."[5]

واعتمدت حرفة النسيج على أدوات خاصة للغزل التي كان الحرفيون يصنعونها، كما عرفت الدولة الرستمية صناعة الخشب والنجارة لصناعة الأبواب، والسفن التي استعملت للملاحة مع الأندلس [6]وصناعة الحديد حيث كان لأفلح باب حديد [7]، وصناعة التحف والعطور والقوارير الزجاجية والفخارية [8]

لقد عرفت الدولة الرستمية الصناعية والحرف لكنها بسيطة ومتلائمة مع الزراعة وتربية المواشي تلبي حاجيات السكان.

---

[1] – بحاز، المرجع السابق، ص166.

[2] – البكري ،المصدر السابق، ص 66.

[3] – ابن الصغير،المصدرالسابق، ص32.

[4] –صالح معيوف، المرجع السابق، ص41.

[5] – ابن الصغير،المصدر نفسه، ص40.

[6] – جودت، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، ص117.

[7] – ابن الصغير، المصدر نفسه، ص38.

[8] – سالم عبد العزيز، المصدرالسابق، ص491

ج–التجارة:

قام الرستميون بدور بارز في مجال التجارة سواء كانت داخلية أو الخارجية حيث لم تأثر الخلافات السياسية والمذهبية بين الرستميين وجاراتها في حركة التجارة [1]. فتطورت التجارة الداخلية للدولة الرستمية نتيجة العامل الجغرافي لأن اختلاف التضاريس الطبيعية والأحوال المناخية في البلاد أدي إلى تنوع في المنتوجات الصناعية والزراعية بين منطقة وأخرى.[2]

وهذا ما جعلتيهرت حاضرة اقتصادية تقصدها الوفود، وتنتقل إليها أهل الأموال من العراق ومصر والأندلس وتجار المغرب. فكانت تأتيها القبائل البدوية التي تقطن في معظم المدن التابعة للدولة الرستمية من جبل نفوسة والجريد وورجلان لتبيع ماشيتها، وتشتري ما تحتاجه من أسواق تيهرت من الجنوب والتمور، والبضائع الأخرى مثل الملح والسكر والزيت ذات الاستعمال الضروري.[3]وكذلك البضائع المجلوبة من بلاد الأندلس، وبلاد السودان التي سوف تتطرق إليها فيما بعد.

ويذكر عليدبوز بأن أسواق تيهرت منظمة فكان لكل سوق نوع خاص من البضائع وحرفة خاصة من الصناعة، فهناك سوق النحاس وسوق الأسلحة، والأقمشة وسوق الصناعة.[4]

2–شعوب جنوب الصحراء (السودان الغربي):

أ_ الزراعة:

رغم نقص المصادر والمراجع التي تتحدث عن بلاد السودان خاصة في المجال الاقتصادي في القرن الثاني الهجري الثامن للميلاد. لكن سنحاول التطرق إلى بعض المعلومات عن المنطقة، التي

[1] – الحريري،المرجع السابق، ص233.

[2] – جودت، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، ص125.

[3] – بحاز،المرجع السابق،ص177.

[4] – دبوز،المرجع السابق، ص 283.

تعرف بالسودان الغربي والذي احتوى العديد من الممالك والشعوب[1]ومنها مملكة غانة وكوكو وأودغست التي أشرنا إلى تاريخها سابقا، وسنتناول اقتصادها.

1_ مملكة غانة: مارس سكان غانة الزراعة فسيطرت هذه المملكة على رقعة شاسعة من الأراضي الخصبة في وديان النيجر ونهر السنغال [2]حيث كان نهر النيجر شريان السودان من الشرق إلى الغرب [3]، وقد تحدث البكري عن زراعة غانة, فقال:" ... ملك عانة وتبايع أهل سلى بالذرة والملح وحلف والنحاس وأرز ... و البقر عندهم كثير ... وأكثر نبات أرضهم الأبنوس ومنه يحتطبون ....[4]

وانتشرت في مملكة غانة زراعة القطن و الدخن، و تربية المواشي والبقر وزراعة الذرة والأرز كما اشتغل سكان السودان الغربي و مملكة غانة بصيد الأسماك و القطاف من نهر النيجر والسنغال [5] كما يذكر المسعودي أن بلاد السودان عرفت تربية الزرافة و الفيلة و النمور.[6]

لكن بعض المصادر تذكر أن أهل غانة لم تعرف القمح إلا ما يجلب إليها من بلاد المغرب.[7]

2-أما مدينة أودغست: عرفت هي الأخرى الزراعة التي تعتمد على موسم الأمطار الصيفية وعلى الآبار العذبة التي توجد بالمدينة، ومن أهم المنتوجات الزراعية في المنطقة هي القمح الدحن والذرة والحناء واللوبيا والنخيل، كما اعتمدت على زراعة البستنة ولاسيما في غير موسم الأمطار.[8] وعليه يقول البكري "...وهي مدينة كبيرة آهلية رملية يطل عليها جبل كبير... وحولها بساتين لنخيل ويزرع فيها القمح بالفؤوس، ويسقى بالدلاء...وسائر أهلها يأكلون الذرة ".[9] كما سادت

---

[1]- أنظر: الملحق رقم 04.

[2] - نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط2،الجزائر، دت، ص ص70-71.

[3] - دونالد ويدنر،**تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء**،ترجمة راشيد البارودي، دار الجيل للطباعة، لبنان،2001، ص38.

[4] - البكري، المصدر السابق، ص ص، 141-143.

[5] - نعيم قداح، المرجع نفسه، صص،141وما بعدها.

[6] - المسعودي ،المصدر السابق، ج2، ص280.

[7] - عبد الكريم جودت، **العلاقات الخارجية**، المرجع السابق، ص250.

[8] - الجنحاني، المرجع السابق،ص ص 206-207.

[9] - البكري، المصدر نفسه،ص158.

في أودغست تربية البقر والغنم والجمال. وبالرغم من هذا الإنتاج الفلاحي، إلا أنه كان إنتاجا محليا يغطي احتياجات السكان [1] وهذا القول ينفي ما ذكره الأستاذ جودت عبد الكريم على أن أودغست لم يكن لها إنتاج محلي.[2]

إذن شهدت بلاد السودان الغربي زراعة الأرز والحنطة والنخيل وشجيرات التين والعنب كما أشار إليها البكري، رغم المناخ الصحراوي وتربتها الرملية إلا أنها عرفت الزراعة خاصة على نهر النيجر والسنغال. أما حسن الوزن فيذكر أن سكان بلاد السودان يلبسون جلود الغنم ويرعن الغنم في الأنهار، أو يخدمون الأرض ويعيشون على المحيط وتوجد بها حدائق النخيل.[3] كما نجد نبات الكولا الذي يعتبر من المتوجات الرئيسية لبلاد السودان الغربي وينقل من غانا إلى بلاد المغرب.[4]

ب–الصناعة:

عرفت بلاد السودان الغربي الصناعة ومنها صناعة الحديد فسادت بمملكة غانة صناعة الحديد والنحاس الذي حصلت عليه من بلاد افريقية [5]،كان استخراجه وطرق صنعه يتم سرا يرعاه الملوك [6]،فكانت مملكتهم أول الممالك التي عرفت الحديد، والذي اعتبر وسيلة فعالة لشعوب جنوب الصحراء من أجل استغلال الأرض والغاب، فتذكر المراجع أن لمملكة غانة دار لصناعة المراكب الحربية وصناعة الأسلحة مثل الحراب والرماح والخناجر .[7]

---

[1] –الحنجاني، المرجع السابق، ص207.

[2] – عبد الكريم جودت، **العلاقات الخارجية**، ص207.

[3] – حسن الوزان، المصدرالسابق، ج1، صص 159 وما بعدها.

[4] – نعيم قداح، المرجع السابق،ص71.

[5] – دافيدسون، المرجع السابق،ص42.

[6] – أحمد نجم الدين فلجيه، **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية، د ت، ص39.

[7]– عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**، دار الكتب الوطنية بنغازي،1998،ص239.

كما عرفت غانة صناعة النسيج والأقمشة وذلك لتوفر القطن الذي يزرع بها، وصناعة النحاس والأحجار الكريمة. فاستعملوا الذهب في صناعة ثياب الملك وكبار رجال الدولة وفي أغطية الرؤوس ومقابض السيوف وسروج الخيل، وكان للملك صولجان به ثلاثون رطلا من الذهب.[1] إذن لقد شهدت بلاد السودان الصناعة لكنها كانت بدائية في معظمها تلبي حاجيات السكان المحليين.

ج – التجارة:

عرفت بلاد السودان تجارة القوافل مع دولة سجلماسة وشمال افريقية، وذلك للثراء الذي تمتعت به شعوب جنوب الصحراء عامة وغانة خاصة نتيجة الموقع الجغرافي الهام والموارد الطبيعية المتعددة[2]. وهذا ما جعلها تتفوق اقتصاديا، فاعتمدت مملكة غانا على تجارة القوافل، فموقع عاصمة كومبي صالح على حدود الصحراء وفي أقصى غرب إفريقيا جعلها حلقة اتصال بين الشمال والجنوب. وبهذا أصبحت أهم المدن التجارية في بلاد السودان.[3]وذلك لوجود مناجم الذهب وسيطرتها على مناطق الملح والرقيق،[4]وكما شهدت مملكة غانة حركة تجارية مع القبائل والمناطق التابعة لها من خلال تبادل السلع و البضائع،[5]وسوف نتطرق إليها في المباحث الآتية.

يتضح مما سبق أن هناك العديد من المقومات الزراعية و الصناعية بمنطقة جنوب الصحراء السائدة خاصة حول نهري النيجر و السنغال، أما الصناعة فكان عمادها الذهب و الحديد و النحاس المجلوب من بلاد المغرب مما أدى الى ازدهار النشاط التجاري.

---

[1]- عطية الفيتوري،المرجع السابق،ص239.

[2]- Le Chatelier Alfred ,**L'islam dan lafrique occdentele**,paris ,1899,p 27 .

[3]-الفيتوري، المرجع نفسه،ص 239.

[4]-شعباني، المرجع السابق، ص 75.

[5]- المبروك الدالى،المرجع السابق،ص37.

المبحث الثاني:**المسالك والطرق والمراكز التجارية.**

1-**الطرق والمسالك.**

أ-الطريق الغربي.

ب-الطريق الأوسط.

ج-الطريق الشرقي.

2-**المراكز التجارية.**

أ-المغربية.

ب-الصحراوية.

ربطت الدولة الرستمية علاقات تجارية مع شعوب جنوب الصحراء (السودان الغربي)، ومما ساعدها على ذلك وجود شبكة من الطرق والمسالك التجارية.[1]عدت همزة وصل بين دول الشمال والجنوب. ساهمت في استمرار العلاقات بينها خاصة خلال القرنين الثاني الهجري (8م)، واستمرت حتى بعد سقوط الدولة الرستمية.

الطرق والمسالك التجارية: وتنقسم هذه الطرق والمسالك إلى:

أ-الطريق الغربي:

هو الطريق الذي يربط بين المغرب الأقصى في الشمال وبلاد السودان الغربيفي الجنوب عبر الصحراء، كما ترتبط به المدن الساحلية من المغرب الأوسط، وقد سلك البربر هذا الطريق قبل الإسلام، ثم سلكه الفاتحين العرب الأوائل[2]، فهو يعد من أقدم الطرق التجارية في المنطقة فقد ارتبطت به تاهرت في عهد الرستميين من خلال دولة بني مدرار.

- طريق تيهرت-سجلماسة:

ينطلق من تاهرت إلى سجلماسة في أول مرحلة، وأن السير فيه يستغرق عشرة أيام، وتعتبر مدينة أوزكا محكة متوسطة بين تاهرت وسجلماسة،[3] وقد أشار اليعقوبي إلى هذا الطريق فذكر: "أن من يخرج من تاهرت سلك الطريق بين القبلة والغرب، سار إلى مدينة يقال لها أوزكا...[4] ومن مدينة أوزكا إلى أرض زناتة، ثم السير إلى مدينة سجلماسة.[5]

ويصف اليعقوبي المسار من مدينة أوزكا إلى سجلماسة بأنها في قرى ليست بأهلة وفي بعضها مفازة[6] وربما كانت هذه القرى بمثابة محطات للقوافل التجارية[7]التي تؤدي إلى بلاد السودان.[8]

---

[1]- انظر: الملحق رقم 5.

[2]-شعباني، المرجع السابق، ص96.

[3]-شنايت العيفة ،**دولة بني مدرار بسجلماسة ودور القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجريين** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير،إشراف موسى لقبال ،الجزائر 1991م،ص140.

[4]-**أوزكا:** مدينة بين تاهرت وسجلماسة يوجد لها فرع من زناتة يقال لهم بنو مسرة رئيسهم عبد الرحمن بن أودمرت أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق ص149.

[5]- جودت، **العلاقات الخارجية**، ص222.

[6]-اليعقوبي، المصدر نفسه، ص149.

[7]- جودت، المرجع نفسه ، ص222.

[8]-عبد الحميد سعد زغلول،**تاريخ المغرب العربي، تاريخ دول الأغالبة،والرستميين،وبني مدرار، والأدارسة حتى قيام الفاطميين**، ج2،منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993، ص409.

ويحدد اليعقوبي المسافة بين تاهرت إلى أوزكا بثلاث مراحل. أما الأصطخري فيصف مسالك سجلماسة بأنها منقطعة إليها إلا في القفار والرمال[1].وتعتبر هذه الأخيرة نقطة انطلاق القوافل نحو بلاد السودان عبر الصحراء[2].لهذا ربط الرستميون علاقة ودية مع دولة بني مدرار بسجلماسة من خلال ذلك الزواج بين الأسرتين، وكنا قد سبق ذكره حيث توطدت بينها العلاقة خاصة من جانبها التجاري باعتبار مدينة سجلماسة نقطة هامة في هذا المسلك[3]، مما يسهل للتجار الرستميين الدخول إلى بلاد السودان عبر سجلماسة[4].وقد قدر الأصطخري المسافة بين تاهرت وسجلماسة نحو خمسين مرحلة[5]، أما أبو الفداء فيذكر هي مدينة تلي الصحراء الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان.[6]

وعليه لعبت سجلماسة دورا هاما في توسيع شبكة العلاقات التجارية للدولة الرستمية، خاصة باتجاه السودان الغربي وجنوب الصحراء، وقد اختلف الجغرافيون في تحديد المسافة بين تاهرت وسجلماسة ويدل هذا على تعدد المسالك نتيجة ازدهار التجارة.[7]

وهو ما يثبت الدور الفعال لسجلماسة في ربط بلاد المغرب الإسلامي بدول جنوب الصحراء باعتبارها منفذا رئيسيا نحو بلاد السودان[8].

– طريق أودغست–غانة:ويبدأ هذا الطريق من سجلماسة، حيث تتوغل القوافل التجارية في الصحراء، مقدار خميسي يوماً لتصل إلى قوم لهم أبنية.[9] وهي مدينة عظيمة تتوسط سجلماسةوغانة،ثم تسير القافلة منها إلى بلد يقال له غسط، وهو واد عامر فيه المنازل ويحكمهاملك يغزو بلاد السودان، وغسط يقصدها مدينة أودغست[10]، وهي مملكة بربرية ملكها من صنهاجة يخالط ملك غانة.[11]

---

[1]–الاصطخري، المصدر السابق، ص39.

[2]– بحاز، المرجع السابق، ص210.

[3]– نفسه، ص210.

[4]–بالعربي، المرجع السابق، ص69.

[5]– الاصطخري، المصدر نفسه، ص46.

[6]– عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء، **تقويم البلدان**، دار المصادر، بيروت، دت، ص137.

[7]– بالعربي، المرجع نفسه، ص69.

[8]– حياوي فراس سليم ومحمد عيسى حميد،الدولةالرستمية وعلاقاتها الخارجية (160–296هـ /776–909م)، مجلة كلية الأساسية، ع 10، جامعة بابل، كانون الثاني،2013، ص175.

[9]– بحاز، المرجع نفسه، ص210.

[10]– البكري، المصدر السابق، ص156.

[11]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص150.

وعليه اعتبرت مدينة أودغست مركزا تجاريا الذي تستريح فيه القوافل، وتقوم بعملية البيع والشراء وكانت المسافة بين أودغست وسجلماسةحسب ابن حوقل تقدر بمسيرة شهرين[1]. ويذكر الحموي هذا الطريق بأن تجار سافر من بلاد سجلماسة إلى بلاد السودان ومنها إلى غانة[2]، وشهدت سجلماسة حركة تجارية باتجاه تلك البلاد، ولعل هذا النشاط له علاقة بتجارة تاهرت مع بلاد السودان[3] ويبلغ طول هذا الطريق خمسين مرحلة سير القوافل، ويسلكه تجار في فصل الشتاء[4]لصعوبة المسلك، فكانوا في بعض الأحيان ينحرون جمالهم لشرب الماء الذي في بطونها.[5]

ويصف اليعقوبي طريق سجلماسة إلى أودغست بقوله" بأنها مفازة الصحراء".[6] ويذكر البكريأودغست فيقول أن سكانها أصل إفريقية وبمرقجانة ونفوسة، ولواتة، وزناتة، وهؤلاء أكثرهم وبها نبذ من سائر الأمصار[7]، وأغلب هذه القبائل كانت على المذهب الاباضي.[8]

ولم يكن السير في هذه المسالك عشوائيا، بل تتحكم فيه مجموعة من العوامل، أبرزها معرفة الطريق وتتوفر المياه،[9] وتتبع طرق معروفة من قبل.[10]حيث تتصل معظم الطرق بآبار يذكر البكري بقوله: "... آبار يحفرونها المسلمون."[11]وتواصل القوافل السير من أودغست إلى غانة في السودان الغربي.[12]

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص91.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص192.

[3]- جودت، **العلاقات الخارجية**، ص249.

[4]- شعباني، المرجع السابق، ص99.

[5]- أبو الفداء، المصدر السابق، ص137.

[6]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص150.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص159.

[8]- بحاز، المرجع السابق، ص212.

[9]- جودت، المرجع نفسه، ص255.

[10]- أبو الفداء، المصدر نفسه، ص45.

[11]- البكري، المصدر نفسه، ص156.

[12]- عبد العزيز شهبي، مركز تلمسان على مسالك التجارة في العصر الوسيط، أعمال الملتقى الدولي، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان، 2011، ص201.

حيث تشير المصادر الجغرافية إلى أن هذا الطريق كان يتفرع إلى مسلكين، الأول يتجه إلى مملكة غانة عبر أودغست، ويمر عبر مدينة ولاتة إلى غانة، أما المسلك الثاني فيتجه نحو غانة عبر تاغرة وهو طريق ثانوي[1].

ب–الطريق الأوسط: الذي يربط بلاد المغرب الأوسط بالسودان الغربي، ويشمل شبكة كثيفة من المسالك خاصة المدن الشمالية، التي تلتقي بالمحطات الواقعة على بوابة الصحراء[2]، ونقصد بذلك ورجلان التي اكتسبت أهمية كبيرة بعد سقوط الدولة الرستمية[3]. ويربط تيهرت بالسودان الغربي وذلك عبر طريقين رئيسيين: الأول يمر عبر سجلماسة والثاني يمر عبر ورجلان[4]، ويربط هذا الطريق مسلكين هامين هما:

– **طريق القيروان–تاهرت–سجلماسة**: حيث يربط هذا الطريق تاهرت بالقيروان عبر مدينة ورجلة (ورجلان)، فيخرج التجار من تيهرت إلى ورجلة ومنها إلى بسكرة ثم إلى القيروان،[5] نظرا للعلاقة التجارية التي ربطت القيروان بتاهرت. وهذا الطريق سلكه الإمام يعقوب بن أفلح عند مغادرته تيهرتفاراً من أبي عبد الله الشيعي[6]. ويستغرق هذا الطريق ثلاثين يوماً على الجمل[7]، ومن تيهرت إلى سجلماسة وقد أشرنا إليه سابقا، وبهذا ربط الطريق القيروان سجلماسة عبر المغرب الأوسط.

– **طريق تاهرت–فاس**: فتسير القوافل من تيهرت إلى تلمسان ومنها إلى فاس[8]، حيث ذكر الإدريسي الطريق من تلمسان إلى سجلماسة[9]. ومنه تخرج القوافل إلى سجلماسة، أو من تيهرت إلى سجلماسة. ومنها إلى تامدلت، ثم إلى ماسة فكانت عدة طرق تخرج منها القوافل باتجاه السودان الغربي[10].

---

[1]–شعباني، المرجع السابق، ص99.

[2]–نفسه، ص100.

[3]– فاطمة بلهواري،العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن 4هـ/10م، دورية كان التاريخية، ع 10، 2010، ص31.

[4]– نفسه، ص32.

[5]– جودت، **العلاقات الخارجية**، ص203.

[6]– نفسه، ص207.

[7]– ليفيتسكي، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ إفريقيا العام، إشراف الفاسي، مج3، ط2، 1997، ص315.

[8]– جودت، المرجع نفسه، ص253.

[9]– الإدريسي، المصدر السابق، ص249.

[10]– جودت، المرجع نفسه، ص253.

ج –الطريق الشرقي: وهذا المسلك يربط الدولة الرستمية وعاصمتها تيهرت ببلاد السودان[1] وينقسم هذا الطريق إلى عدة مسالك منها:

– طريق تيهرت–ورجلان: وينطلق من تاهرت إلى مدينة ورجلان[2] مكان التجار يخرجون من تاهرت إلى حصن ابن كرام، عبر متيجة ومنه إلى إمارة هاز ثم إلى بلد بني دمر هم فرع من زناتة، ثم إلى مدينة مقرة التي يوجد بها العجم والبربر[3]. وكان يمر هذا المسلك عبر مدينة بسكرة[4].

ويذكر الإدريسي أن المسافة بين المسيلة وطبنةمرحلتان[5].أما الأستاذ بحاز فيشير إلى طريق آخر والذي يمر عبر وادي ريغ التي كانت تتوسط بين تاهرت وورجلان، تستريح فيها القوافل نظراً لطول المسلك وصعوبته. كما يستمر المسلك عبر بني يمرزال الإباضية[6] فيقول ابن حوقل: "يأخذ من المسيلة إلى مقره، ومنها إلى طبنة ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان".[7]

ومنه تسير القوافل إلى مدينة ورقلة (ورجلان). وتعتبر هذه الأخيرة نقطة التقاء كسجلماسة تماما وعلاقتها ببلاد السودان في القرن السابع[8]، ووصفها الإدريسي بقوله: "قبائل مياسر، تجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة ونقارة..."[9].

إذن لعبت ورجلان دور هام في تجارة الرستمين مع بلاد السودان. خاصة بعدما انتقلت إليها الإباضية بعد حصارها من طرف الفاطميين[10].ومن مدينة ورجلة جنوب الدولة الرستمية تنطلق القوافل محملة بالسلع متوغلة في القفار والمغارات عبر الصحراء. حتى تصل إلى تادمكة.[11]

---

[1]–جودت، **العلاقات الخارجية**، ص269.

[2]–**وارجلان**: مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا حولها نخل كثير ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لايحصى من القرى والصناع فيها كثيرون وسكانها أغنياء أنظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136.

[3]– جودت، المرجع نفسه، ص269.

[4]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص87.

[5]– الإدريسي، المصدر السابق، ص315.

[6]– بحاز، المرجع السابق، ص214.

[7]– ابن حوقل ، المصدر نفسه، ص87.

[8]– بحاز، المرجع نفسه، ص215.

[9]– الإدريسي، المصدر نفسه، ص315.

[10]– أبو زكرياء ، المصدر السابق، ص195.

[11]– بلعربي، المرجع السابق، ص70.

ويشير ليفيتسكي بوجود طريق آخر بين ورجلة ومدينة سجلماسة[1]، أما جان دوفيس فيقول أن ورقلة شكلت مركز قيام علاقات تجارية عبر الصحراء.[2]

– طريق تادمكة–كوكو: وينطلق هذا المسلك من مدينة تادمكة التي تعتبر مركزا تجارياً هاماً، شمال شرق مجرى نهر النيجر[3]، وقد وصفها البكري بقوله: "وتادمكة أشبه بلاد الدنيا بمكة، وهي كبيرة بين جبال وشعاب، وأهلها بربر مسلمون...[4] والمسافة بينها وبين ورجلان خمسين مرحلة، أما بين تادمكة وكوكو تسع مراحل حسب البكري.[5]

ويذكر جان دوفيس أن طريق ورقلة تادمكة وجاو كان من أهم الطرق التي تربط بين السودان الغربي بالشمال الإفريقي في القرن التاسع الميلادي[6].كما يوجد هناك مسلك يربط المناطق الشرقية للدولة الرستمية بلاد السودان ومنها:

– طريق جبل نفوسة–غدامس: ينطلق هذا المسلك من مدينة شروس عاصمة جبل نفوسة في اتجاه غدامس[7]، وهي مدينة لطيفة كثيرة النحل ومسافة هذا الطريق سبعة أيام في الصحراء بين جبل نفوسة وغدامس ومنه تخرج القوافل إلى مدينة تادمكة.[8] حيث كانت تتمثل هذه الأخيرة مفترق طرق[9]خطرين يؤدي إلى مدينة كوكو، وطريق آخر يؤدي إلى غانة.[10]

– طريق جبل نفوسة – زويلة: فكانت القواعد تخرج من جادو، وهي إحدى مدن في جبل نفوسة ثم تسيرها إلى الصحراء ثم إلى مدينة تيري ثم إلى بئر درق ومنها إلى تامرما.[11]

---

[1]– ليفيتسكي، المرجع السابق، ص335.

[2]– جان دوفيس،التجارة والطرق التجارية في غرب إفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، ص409.

[3] بلعربي، المرجع السابق، ص70.

[4]– البكري، المصدر السابق، ص181.

[5]– نفسه ، ص 181.

[6]– دوفيس، المرجع نفسه، ص409.

[7]– بحاز ،المرجع السابق،ص 218.

[8]–البكري، المصدر السابق، ص182.

[9]– صالح معيوف، المرجع السابق، ص55.

[10]– انظر: الملحق رقم 06.

[11]– بحاز، المرجع نفسه، ص218.

ثم إلى مدينة زويلة التي تعد محطة تجارية مهمة[1].حيث يذكر اليعقوبي: "...بأن أهلها مسلمون إباضية، وهم الغالبون عليها..."[2] ومن مدينة زويلة إلى كوار، ويحدد البكري المسافة بينهما بخمس عشرة مرحلة.[3]

– طريق كوار–كانم: وتنطلق القافلة من كوار إلى مدينة كانم، وتقدر المسافة بينهما خمسة عشر يوما وعليه تقع كوار في إقليم كانم من بلاد السودان[4]، ويمر هذا الطريق عبر بعض المدن منها تملمة ومنها إلى مدينة نجيمي عاصمة كانم، ولهذا الطريق عدة فروع.[5]

ولقد أشار الشماخي إلى وجود تجارة بين جبل نفوسة وبلاد كانم من خلال العلاقة التي ميزت حاكم كانم وحاكم جبل نفوسة أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني، إذ كان هذا الأخير يعرف الكانمية.[6]

وهذا يدل على وجود علاقة اقتصادية بينهما خاصة أن الإمارة الإباضية التي أنشأت في زويلة أثناء القرن التاسع كانت تحت حكم بني الخطاب، ومارس نشاطا تجاريا مع بلاد كانم عبر الصحراء[7] وهذا المسلك مهم من خلال تجارة العبيد.[8]

يتبين مما سبق أن بلاد المغرب الإسلامي ربطت علاقات تجارية مع جنوب الصحراء، نظرا لتوفر العديد من المسالك والطرق التجارية، منها الطريق الغربي الذي يعد من أقدم الطرق. بالإضافة إلى الطريقين الشرقي والأوسط اللذان لعبا دورا بارزا في تجارة الرستميين مع السودان الغربي، مما ساعدهم على جلب ما يحتاجون إليه من السلع والبضائع.

---

[1]–صالح معيوف، المرجع السابق، ص55.
[2]–اليعقوبي، المصدر السابق، ص136.
[3]– البكري، المصدر السابق، ص13.
[4]–بحاز، المرجع السابق، ص21.
[5]–شعباني، المرجع السابق، ص103.
[6]– الشماخي، المصدر السابق، ص184.
[7]– بلهواري، المرجع السابق، ص33.
[8]– بحاز، المرجع نفسه، ص219.

2-المراكز التجارية:

يعود ظهور المراكز التجارية في المغرب والمناطق الصحراوية خاصة في أوائل القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، إلى ازدياد النشاط التجاري بين المنطقتين نتج عنه ظهور عدة محطات أدت دوراكبيرا في تاريخ العلاقات التجارية عبر الصحراء[1] ولعل أهمها ما يلي:

أ-المغربية:

- تاهرت: تعد من أكبر المراكز التجارية في المغرب الأوسط، حيث كانت تتبادل البضائع مع بلاد السودان والمغرب الأقصى خاصة سجلماسة التي شهدت ازدهارا اقتصاديا.[2] فكانت مقصد التجار من كل مكان[3] بالمغرب كالقيروان، وكذلك تجار المشرق من البصرة والكوفة[4]ومع الأمويون بالأندلس.[5]وهذا ماأشارإليه المقدسي بقوله: "هي بلخ المغرب قد أحذف بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين... وانتعش فيها الغريب واستطاب بها اللبيب"[6].

وما تجدر الإشارة إليه أن بتاهرت أسواق عامرة ممتلأة بمختلف البضائع والمصنوعات. فقد عمل حكمها على تعبيد الطرق المتصلة ببلاد المغرب وبلاد السودان[7]، كما امتلك الرستميون العديد من القواعد الصحراوية التي سهلت لهم الاتصال مع بلاد السودان مثل ورجلان التي سنأتي على ذكرها.[8] ونظرا لموقعها الممتازسهل لتجارهاالاتصال ببلاد السودان[9]، وفي هذا الإطار يقول: ابن الصغير "استعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجار وضروب الأمتعة".[10]

---

[1]-أنظر: الملحق رقم 07.

[2]- الحريري، المرجع السابق، ص209.

[3]-زغلول ، المرجع السابق، ص314.

[4]- ليفيتسكي، المرجع السابق، ص314.

[5]-مارساي، المرجع السابق، ص120.

[6]- المقدسي، المصدر السابق، ص228.

[7]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، الجزء الأول، شركة دار الأمة، 2010، ص237.

[8]- الحريري، المرجعنفسه، ص209.

[9]- خالدي مسعود، الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني والثالث الهجريين دورية كان التاريخية، ع20، 2013، ص85.

[10]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

– **سجلماسة**: تقع شمال وادي درعة على طرف الصحراء جنوبا[1]، فتعد بوابة الصحراء أي قاعدة هامة لخروج القوافل[2] بالمغرب الأقصى[3]، فموقعها أهلها لتكون مركز تجاري هام[4] للقوافل الراحلة والقادمة إلى بلاد السودان[5]، ووصفها البكري قائلا: "ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة.... مدينة سهليةأرضها سبخة حولها أرباض كثيرة... ولها بساتين كثيرة ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان"[6]، أما المقدسي فيقول:"كثيرة التمور والأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات كثيرة الغرباء وموافقة لهم يقصدونها من كل بلد".[7]

وعليه يمكن القول أن سجلماسة استطاعت أن توفر متطلبات القوافل الداخلة إليها. وأشاد بخيراتها أيضا القزويني بقوله: "وبها أصناف العنب والتمر، وأما تمرها فستة عشر صنفا... وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكرمهم مالا لأنها على طريق غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخول تلك البرية"[8]، ولهذا ارتبطت بعلاقات مع دول المغرب خاصة تاهرت[9] إلا الغالبة، وبذلك انتظمت طريق القوافل من سجلماسة إلى ورجلان والقيروان، ومن جهة أخرى ارتبطت سجلماسة[10] بمراكز السودان الغربي. فكانوا هم حلقة الوصل لنقل البضائع المختلفة"[11]، فكثرت ثروتهم وهذا ما أكدته المراجع والمصادر.

---

[1]- زغلول، المرجع السابق، ص409.

[2]- شوقي عبد القوى عثمان، **التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك**، المجلس الإعلامي للثقافة، 2000، ص68.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق،ج7 ،ص114.

[4]- بان علي محمد البياتي، **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3-5هـ/9-11م**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف صباح إبراهيم الشيخلي، بغداد،2004، ص89.

[5]-مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1988، ص154.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص39.

[7]- المقدسي، المصدر السابق، ص23.

[8]-القزويني، المصدر السابق، ص37.

[9]-لومبار، المرجع السابق، ص91.

[10]-**سجلماسة**: بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم الف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر...اختطفها يزيد بن الأسود وقيل مدرار ينعبد الله... وكانوا يدينون بدين الصفرية من الخوارج... سنة140هـ، أنظر القلقشندي، المصدر السابق، ج5 ،163، ويقال اسمها سجلو ماسة ومعناها في اللغة اللاتينية خاتم النصر وبناها أحد القادة والرومان الذي قدم من موريتانيا، أنظر كربخال، المرجع السابق، ص153.

[11]-شنايت، المرجع السابق،141.

حيث يقول القلقشندي: "وهي كثيرة العمارة كثيرة البساتين رائقة البقاع ذاتقصور ومنزل وعمارات رفيعة... وأهلها مياسير ولها متاجر مع بلاد السودان يخرجون إليها بالملح والنحاس".[1] ويشير شوقي عبد القوى عثمان أن دخل بيت المال في القرن العاشر ألف دينار في السنة ولو أنه مرجع متأخر.[2]

– **ورجلان:** بفتح أوله وسكون ثانية، وفتح الجيم وآخره النون، كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر، كثيرة النخل والخيرات، يسكنها قوم من البربر[3]، ووردت في المراجع بعدة أسماء منها ورغلة[4] وارجلان ورقلان وتلفظ ورقلان ترجع هذه التسمية للقبيلة التي تواجدت مضاربها بتلك المنطقة يحدها شرقا إقليم بلاد الزاب، وغربا وادي ميزاب وجنوبا مدينة سدراتة[5] تقع على خطي عرض 50,030 شمالا 17.05 شرقا، تتميز بوفرة مياهها الجوفية الإنسيابية بعد حفرها.[6] وهي المركز الأساسي لتجارة الرستميين بالجنوب الشرقي الأوسط،[7]وبورجلان تتجمع القوافل التجارية القادمة من المغرب الأوسط ومن المغرب الأدنى حيث يقول الباروني "مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة"[8]، وهذا ما جعل أهلها يقومون بالدور الأساسي لقيادة القوافل إلى بلاد السودان مع غانة[9]ويكونوا طبقة من التجار الأغنياء.

وهذا ما أكده الإدريسي فيقول: "وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد نقارة فيخرجون منها التبر".[10]

---

[1]–القلقشندي، المصدر السابق،ج5،ص163 .

[2]–شوقي عبد القوى، المرجع السابق، ص 68.

[3]– الحموي، المصدر السابق، ج5، ص371.

[4]–كربخال، المرجع السابق، ص166.

[5]– حساني، **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، ج5، ص 259.

[6]– المبروك الدالى، المرجع السابق، ص299.

[7]– بلعربي، المرجع السابق، ص68.

[8]– الباروني، المصدر السابق، ص185.

[9]– المبروك الدالى، المرجع نفسه، ص299.

[10]– الإدريسي، المصدر السابق، ص296.

وأهل وركلة كرماء ظرفاء يستقبلون الغرباء استقبالا حسنا لأنهم لا يملكون غير ما يأتيهم به هؤلاء كالقمح والمنسوجات، والأقمشة والأسلحة والسكاكين، وكل ما يحتاجون إليه، إضافة إلى أنها أكبر سوق تجارية أيضا[1]، وبها العديد من القصور منها الشط، والعجاجة فاعتبرت ورجلان عاصمة الصحراء خلال القرن الثامن إلى غاية القرن السادس عشر.[2]

– **توات**: تقع في الجنوب الغربي من الصحراء للدولة الرستمية الجزائر حاليا، وهي جزء من الصحراء الكبرى وهي واحة كبيرة ولهذا فهي مركز تجاري هام بين بلاد المغرب والسودان الغربي، حيث عملت على تزويد القوافل بما يلزمهم من ماء وغذاء، كما كانت سوقا تجارية[3]، وهي تقع على بعد ثلاثة عشر يوما جنوب سجلماسة.

ومنطقة توات عبارة عن قصور يصل عددها إلى مائتي قصر في أقصى الشرق في المنطقة التي تعرف بتمنطيط، وهي محطة تجارية للقوافل المتجهة إلى بلاد السودان الغربي وسوقا لبضائعها فمن توات تتوجه القوافل إلى تادمكة وأخيرا إلى جاو.[4]

– **غدامس**: يقول عنها القزويني "هي مدينة بالمغرب في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان"[5] وتعرف كذلك باسم سيدامس أو كيدامي عند القدماء ولموقعها الجغرافي.[6]

فهي تقع في جنوب طريق التجارة[7] إلى الكانم من بلاد السودان[8]، وكانت مهمة السكان حراسة القوافل ومراقبة الطريق الذي يمر بها إلى السودان الغربي[9]، ولذلك فسكان غدامس[10]يشتهرون بصناعة الجلود ذات الجودة.[11]

---

[1]– محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص97.

[2]– بن موسى، المرجع السابق، ص ص209 -210.

[3]– المبروك الدالى، المرجع السابق، ص300.

[4]–بن موسى، المرجع نفسه، ص208 -219.

[5]–القزويني، المصدر السابق، ص57.

[6]–ليفيتسكي، المرجع السابق، ص319

[7]– فراس سليم وآخرون، المرجع السابق، ص176.

[8]–الحريري، المرجع السابق، ص210.

[9]– صالح معيوف، المرجع السابق، ص60.

[10]– **غدامس**: مدينة بالمغرب... ضاربة في بلاد السودان... فتحها عقبة بن نافع أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج6، ص268.

[11]– القزويني، المصدرالسابق، ص57.

لقد ارتبطت غدامس تجاريا بمدينة تنكبت وجاو، وجني واقدزو، تادمكة[1] فبهذا أصبحت محطة مهمة في بداية الطريق وكان حي الغدامسية بمدينة تنبكت من أرقى الأحياء ومن هذا كله ندرك مكانة غدامس كمركزتجاري له ارتباط بمدن السودان الغربي[2].

– **زويلة:** هي مدينة قديمة أسست في أواخر القرن الأول الهجري[3] تقع في واحة جنوب طرابلس.[4] يقول عنها القزويني "مدينة بإفريقية غير مسورة في أول حدود السودان، ولأهلها خاصية عجيبة في معرفة آثار القدم، حتى يعرفون أثر قدم الغريب والبلدي والرجل والمرأة واللص والعبد".[5]

وهذا ما أكده الأصطخري فيقول: "بلد في وجه أرض السودان وهؤلاء الخدم السود أكثرهم يقع إلى زويلة"[6] ويمارس سكانها الزراعة، وخاصة زراعة النخيل والحبوب والشعير[7]، وعرفت أوج ازدهارها خلال القرن الثالث الهجري وتوجد الأسواق حيث كانت ملتقى القوافل عبر الصحراء ومنها تنطلق إلى بلاد السودان التي تدر عليها مدخولا كبيرا.[8] فيجلبون منها العاج والأحجار الكريمة وتجارة الرقيق الأسود وسكان زويلة من أصول مختلفة من خرسان والبصرة والكوفة[9].

[1]–المبروك الدالى، المرجع السابق، ص297.
[2]– لومبار، المرجع السابق، ص337.
[3]– ليفيتسكي، المرجع السابق، ص323
[4]– صالح معيوف، المرجع السابق، ص59.
[5]– القزويني، المصدرالسابق، ص94.
[6]–الأصطخري، المصدر السابق، ص44.
[7]– ليفيتسكي، المرجع نفسه، ص323.
[8]- صالح معيوف، المرجع نفسه، ص59.
[9] - ليفيتسكي، المرجع نفسه ، ص324.

ب –الصحراوية:

– غانة: تعد غانة من أهم المراكز التجارية في بلاد السودان الغربي[1]، حيث بلغت ذروة قوتها خلال القرن الثاني الميلادي[2]. نظرا للحركة الاقتصادية التي تميزت بها خاصة وأنها كانت تسيطر على تجارة الذهب في الجنوب[3]، والملح في الشمال في تغازا.[4]فقد سيطرت على الطريق التجاري الذي يسمى طريق الملح والذهب.[5]

فكانت ملتقى التجار القادمين من بلاد المغرب ومن سجلماسة[6]، وخاصة عاصمتها كومبي[7]التي تعد ملتقى التجار القادمين إليها من بلاد المغرب أو من داخلها لغرض البيع والشراء.[8]فكانوا يقيمون في محلات خاصة بهم ويدفعون مقابل ذلك ضرائب منتظمة.[9]

– أودغست: بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الدال المهملة والغين المهملة وسكون السين المهملة وفي آخرها تاء مثناة فوق[10]، كانت خاضعة لمملكة غانة ثم فتحف على أيدي قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة المنتمية إلى اتحاد الصنهاجيين، فخضعت للمرابطين خلال أواسط القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي[11] لتصبح مدينة إسلامية.[12]

---

[1]– المبروك الدالى، المرجع السابق، ص306.

[2]– نفسه، ص236.

[3]– عطية الفيتوري، المرجع السابق، ص242.

[4]– **تغازا:** بلدة في جنوبي المغرب بقرب البحر وسورها من الملح وكذلك جميع حيطانها... والملح بأرض السوادان عزيز جدا والتجار يجلبونه من تغازة أنظر: القزويني، المصدر السابق، ص25 –26.

[5]– أبو الفداء، المصدر السابق، ص157.

[6]–ويندز، المرجع السابق، ص40.

[7]– Maurice delafosse, **les noirs de la frique**,op,cit, p39.

[8]– ويندز، المرجع نفسه، ص56.

[9]– شلبي، المرجع السابق، ص269

[10]– القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص173.

[11]– ليفيتسكي، المرجع السابق، ص345.

[12]– الجنحاني، المرجع السابق، ص193.

وقد حدد موقعها الراحلة والجغرافيون فهي تمثل نهاية طريق سجلماسة وبداية طريقين أحدهما إلى أوليل بلد الملح والثاني إلى غانة.[1]

ويحددها ابن حوقل فيقول:"أودغست مدينة لطيفة أشبه ببلاد الله بمكة ... لأنها بين جبلين ذات شعاب".[2]

أما البكري فيقول: "وهي مدينة كبيرة أهله رملية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت شيئا بها جامع ومساجد كثيرة أهله"[3].

كما عرفت المدينة حركة تجارية نتيجة التبادل بينها، وبين تجار بلاد المغرب،ومن سجلماسة وغدامس.[4] وتجار تاهرت[5] فكانت مركزا تجاريا هاما وأهلها يمتازون بالثراء خاصة فئة التجار[6] الذين لهم تجارات واسعة مع الشمال وهذا ما أكده الادريسي بقوله: "أودغست من بريسي شمالا وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب غليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب يجلبه إليهم وأرقلان الصحراء".[7]أي محطة هامة من محطات القوافل[8]، وابن حوقل هو الآخر يؤكد ثراء التجار بقوله: "رأيت بأودغست صكا فيه يذكر حق على رجل من أهل سجلماسة لرجل من أهلها بأربعين الف دينار وما سمعت بالمشرق لهذه الحكاية نظيرا وأسواقها دائما عامرة".[9]

– ولاتة: وورد اسمها عند ابن بطوطة أيوالاتن ويعود تأسيسها إلى القرن الأول الهجري[10]،وتذكر بعض الروايات يعود تاريخ بنائها إلى العهد الروماني، يخترقها نهر زيز، ويحدها غربا إقليم درعة وشرقا إقليم الرطم، وجنوبا إقليم الظهرة وشمالا جبال الأطلس الكبير.[11]

---

[1]– جودت، **العلاقات الخارجية**، ص261.

[2]– ابن حوقل ، المصدر السابق، ص91.

[3]– البكري، المصدر السابق، ص158.

[4]- المبروك الدالى، المرجع السابق، ص30.

[5]– جودت، المرجع نفسه، ص262.

[6]– بالعربي، المرجع السابق، ص114.

[7]– الإدريسي، المصدر السابق، ص20.

[8]– شلبي، المرجع السابق، ص105.

[9]– ابن حوقل ، المصدر نفسه، ص70.

[10]– شمس الدين محمد أبي عبد الله ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد الهادي التازي، ج4، الرباط، 1997، ص244.

[11]– المبروك الدالى، المرجع نفسه، ص305.

وهـي مدينـة صـحراوية قليلـة الزراعـة، فمـن عـادات سـكـانها أنهـم يغطـوا وجهوههمرجـالا ونسـاء أي ملثمون[1] واشتهرت كمركز تجاري وأصبحت محطة للقوافل عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى[2].

– جـاو: عرفـت بأسمـاء عـدة منهـا: بكوكـو وكوكيـا و كاغوجـاغ تقـع حاليـا في الشـمال الشـرقي مـن العاصـمة بماكوا (مالي)، فهي مركزا تجاريا بالسودان الغربي، لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عبر المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى، والمتجه نحو نهر النيجر[3]، وأهلها مسلمون معروفين بحسن ضيافتهم للتجار الوافدين إليهم من المغرب.[4]

تادمكة:هي مدينة كبيرة بين الجبال والشعاب، فهي تشبه مكة، أهلها بربر مسلمون.[5]لا توجد عندهم زراعة فقد عدت مركزا تجاريا هاما في جنوب الصحراء، وتقع هذه الأخيرة على الطريق الشرقي الذي يربط بين مدينة ورجلان ومملكة كوكو.[6]

إن صعوبة المسالك التجارية، وعمق الصحراء أدى إلى تأسيس المراكز على طول حركة سير التجار من بلاد المغرب إلى جنوب الصحراء، لأخذ قسط من الراحة، وتبادل السلع والتزود بما يحتاجون إليه من مئونة والأدلاء ما نتج عنه استقرار للسكان، وإنشاء مدن تجارية وأسواق كبيرة مما ساهم تنشيط الحياة التجارية نحو الجنوب.

[1]– كربخال، المرجع السابق، ص153.
[2]– الحسن الوزان، المرجع السابق، ص162.
[3] – المبروك الدالى، المرجع السابق ،ص310.
[4]– شعباني، المرجع السابق، ص119.
[5]– مجهول، المصدر السابق ،ص 223.
[6]– بحاز ،المرجع السابق،ص 217.

الأسواق:

تعتبر من أهم أماكن التبادل التجاري توجد في المناطق التي تتوفر فيها أعداد هائلة من السكان.[1]فلكل مدينة أو قرية بها سوقا أو أسواقا تعقد فيها العمليات التجارية، سواء نقدا أو عن طريق المقايضة[2] كما كانت للقبائل المجاورة سوقا محلية تجتمع فيه، وفي المحطات التي تقع على الطرق الرئيسية التي تربط بين المدن أو وتقوم حولها.[3]

وقد أشارت المصادر الجغرافية إلى أسواق تاهرت، وعليه يذكر البكري بقوله "أن لتيهرت أسواق عامرة وحمامات كثيرة ..." [4]وهذا ما أكده المقدسي بأن تاهرت بلد رشيق الأسواق.[5]

لقد وجدت الأسواق في منطقة تيهرت نظرا لازدهار التجارة ولموقع تاهرت الذي يتوسط القبائل المجاورة لها.جعل المدينة تتمتع بمراكز لتبادل السلع والبضائع بين الناس إضافة إلى علاقاتها مع بلاد المغرب والأندلس وبلاد السودان وذلك لتوفر المسالك بينهما.[6] فتحولت بعض الأسواق في الدولة الرستمية إلى مدن بارزة كمدينة سوق إبراهيم، ومدينة كرام.[7]كما نجد أسواق تحمل اسم أمير مثل سوق حمزة وسوق يوسف، وسوق ماكس على وادي الشلف.[8]

ولعل الاستقرار السياسي وعدل الحكام في الدولة الرستمية أدى إلى ظهور أسواق خاصة يحكمها شخص ومنهم ابن وردة الذي ابتنى سوقا يعرف به فقد كانت له هيبة بحيث لا يدخله صاحب الشرطة.[9] ويذكر عليدبوز أن أسواق تاهرت كانت تتميز بالاختصاص في البضائع فهناك سوق النحاس والأسلحة وسوق الصباغة، وسوق الأقمشة.[10]

---

[1]- جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، ص 134.

[2]- بحاز، المرجع السابق، ص 175.

[3]- جودت، المرجعنفسه، ص 134.

[4]- البكري، المصدرالسابق، ص 58.

[5]- المقدسي، المصدرالسابق، ص 228.

[6]-الطاهرطويل، **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الخامس الهجري** ، المصدر للترقية الثقافية والعلمية، ط1، 2011، ص 216.

[7]- اليعقوبي، المصدرالسابق، ص 132.

[8]- جودت، المرجع نفسه، ص 135.

[9]- ابن الصغير، المصدرالسابق، ص62.

[10]- دبوز، المرجع السابق ،263.

ويذكر البكري سوق تشرف عليه قصبة المعصومة.[1]وقد ساد الأمن في أسواق تيهرت وعليه يذكر ابن الصغير أن صاحب الشرطة كان يتفقد الأسواق والاحتساب على الفساق.[2] ففي عهد الإمام أبي اليقضان أمر قوم من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. قالوا إن رأوا قصابا ينفخ في شاه عاقبوه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها انزلوا حملها، أو أمروا صاحبها بالتخفيف عنها ...[3]

إذن مثلت الأسواق المركز الاقتصادي لمدينة تيهرت حيث تميزت بتنوع السلع والبضائع وساد بها الأمن، والاطمئنان وتعقد في أيام معلومة من الأسبوع، فكانت محطة للقوافل التجارية القادمة من الشمال ومن الجنوب.[4]

أما منطقة السودان الغربي نجد المصادر الجغرافية وكتب الرحالة تذكر أن في تلك المنطقة أسواق عامرة وهذا ما أكده البكري بقوله :"بأودغست أموال جليلة وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله وتبايعهم بالتبر ..."[5] ويضيف على ذلك بأن أودغست مدينة جليلة فيها أسواق و نخل كثير.[6] كما عرفت غانة بأسواقها ومنها سوق الذهب وكانت هذه السوق ناشطة لأن العرب كانوا يأتون لشرائه من التجار الغانيين.[7]

فكانت تفرض الضرائب منظمة على السلع الداخلة والخارجية مقابل الذهب [8] كما عرفت الأسواق بالمواد التي تباع فيها مثل سوق الملح والرقيق وعليه نجد أسواق العبيد تعرف بأسواق النخاسة حيث كانت توجد في كومبي صالح عاصمة غانة سوق تعرف بتجارة الرقيق.[9]

لقد أشارت المصادر إلى الأسواق التي أقيمت في منطقة السودان الغربي لكن لم تخصص أسماء لتلك الأسواق.

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص 110.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص88.

[3]- نفسه، ص 88.

[4]- بحاز، المرجع السابق، ص 177.

[5]-البكري، المصدر نفسه، ص 158.

[6]-نفسه، ص 168.

[7]-نعيم قداح، المرجع السابق، ص 245.

[8]-فج جي دي، المرجع السابق، ص 24.

[9]- شنايت، المرجع السابق، ص 156.

المبحث الثالث: **المعاملات التجارية بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء وعوائقها**.

1-السلع المتبادلة.

2-نظم التبادل.

3 -عوائق التجارة.

المبحث الثالث: المبادلات التجارية بين الطرفين.

يعتبر التبادل التجاري أهم وسيلة يتم من خلالها استبدال المنتوجات بين الدول وذلك لصد حاجياتها من المواد الأساسية، فتعد ضرورية في حياة الأفراد والشعوب. فماهي السلع التي كان يتم التبادل فيها يا ترى؟

1 –السلع المتبادلة:

أ–صادرات الدولة الرستمية إلى شعوب جنوب الصحراء:

لم تحدد المصادر بضاعة رستمية بعينها إلا أنها تشير إلى بعض السلع والبضائع التي تم التبادل فيها بين بلاد المغرب الإسلامي، وشعوب جنوب الصحراء (السودان الغربي). ومن الممكن أن يكون التجار الرستميون استعملوها في تجارتهم مع تلك البلاد[1]، ومن أهم السلع التي حملها تجار الدولة الرستمية إلى بلاد السودان نذكر:

الحبوب والتمور التي كانت متوفرة في المغرب الأوسط نسبة لموقعها الممتاز[2]. حيث نقل التجار القمح إلى بلاد السودان لكون هذه الأخيرةلايزرع فيها القمح فمدينة أودغست كان يجلب إليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الإسلام.[3]وبلغ عندهم سعر القمح في أغلب الأحيان ستة مثاقيل، ومن التجار الذين ارتادوا أودغست من مدينة غدامس أبو رستم النفوسي.[4]

أما التمر فان أهل ورجلان يتاجرون به مع السودان كذلك بلاد قسطيلة كان يخرج التجار منها في أكثرالأيامألف بعير محملة بالتمر[5].

لقد حمل تجار تاهرت القمح، والتمور والفواكه، والحنطة إلى بلاد زغاوة وغيرها من بلاد السودان. وقد أشار الإدريسي بقوله:"ليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب ويجلب إليهم أهل ورجلان ..."[6]بالإضافة إلى

---

[1]– بحاز، ا لمرجع السابق، ص 223.

[2]– عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسط**، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر،دت،ص21.

[3]– بلهواري، المرجع السابق، ص32.

[4]– المبروك الدالى، المرجع السابق، ص 30 .

[5]– البكري، المصدر السابق، ص48.

[6]– الإدريسي، المصدر السابق، ص20.

الجلود المتوفرة في الدولة الرستمية خاصة منطقة زويلة وغدامس[1]، والفواكه المجففة كالتين والزبيب وكذلك المنتوجات المصنوعة مثل الأواني الفخارية.[2]

فكانت القوافل الرستمية تحمل المنسوجات كالأكسية القطنية، والكتانية وثياب الصوف والعمائموالأصوافوأصناف من الزجاج[3]، والخزف ذو البريق المعدني.[4] والى جانب هذه السلع نجد العنبر الذي كان له دور في الحركة التجارية فكانت سلعة هامة تصدر إلى السودان، حيث يستعمل في التطيب والسحر، والتعوذ من الجن وتحنيط الأموات.[5]

لقد حمل تجار تاهرت بعض البضائع المشرقية والأندلسية لكون تاهرت كانت مركز تجاريا هاما تتوافد إليها القوافل التجارية من سائر الأمصاروالأقطار.[6] كما نقل التجار النحاس الأصفر والملون ومتوجاته من الأساور والخواتم وآلات الحديد المصنوع والفخار[7].وخشب الصنوبر والودع.[8]

ويعتبر الملح من أهم السلع التي تصدر إلىالسودان. وهو مادة يفتقر إليها أهل السودان ويحصلون عليه من التجار المغاربة .[9] وهذا ماذكره ابن حوقل بان حاجة ملوك غانة، وكوغة الماسة الملح الصادر إليهم من بلاد الإسلام.[10]كان يستعمل الملح في تجفيف الأسماك والحيتان التي يصطادونها من نهر السنغال والنيجر.[11]وهو عنصر ضروري لطبخ الطعام كما يستعمل في صناعة حفظ الأغذية والجلود، ويمثل مادة هامة للتبادل التجاري مع بلاد السود.[12]

---

[1]- بحاز، المرجع السابق، ص224.

[2]- نفسه، ص242.

[3]- مقلد الغنيمي، المرجع السابق،ص 350.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص487.

[5]- جودت، **العلاقات الخارجية**، ص 280.

[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[7]- دبوز، المرجع السابق، ص347.

[8]- بلعربي، المرجع السابق، ص70.

[9]- شعباني، المرجع السابق، ص 122.

[10]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

[11]- بلهواري، المرجع السابق، ص 33.

[12]- لومبارد، المرجع السابق، ص281.

فكان التجار يحملون الملح مملكة غانة انطلاقا من سجلماسة[1].أما عن المصدر الرئيسي للملح فيوجد في مناطق غرب إفريقيا بمدينة تاغزة taghaza الواقعة في عمق الصحراء. وتتوفر بها مناجم طبيعية هائلة للملح الصخري ويعمل بها العبيد.[2]كما يجلبونه من جزيرة أوليل في الطريق الغربي وتونك في الطريق الأوسط[3].حيث يقول الإدريسي:"...ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان وكانت تأتيإليها القوافل والمراكب وتسوق بها الملح وتسير منها إلى النيل ...وغانة.[4]

أما القزويني فيذكر أن أهل تاغزة شغلهم جمع الملح طوال السنة، تأتيهم القوافل في كل سنة مرة يبيعونالملح. ويأخذون من ثمنه قدر نفقاتهم ...ومعاشهم على الملح.[5]وعليه كان للملح مكانة خاصة في المعاملات التجارية حيث يستبدل بالذهب، إذ أن الحمل الواحد من الملح يباع بولاتة بعشرة مثاقيل الثمانية مثاقيل من الذهب .[6]

هذا دليل على قيمته عند السودانيين إلى درجة أن ملك غانة كان يعقد هدنة مع ملك أودغست نظرا لحاجتهم الماسة للملح، الخارج إليهم من بلاد الإسلام.[7] ولتجارة الملح أسواق خاصة بها عند ملتقى الطرق ومنها سوق تاغزة التي اشتهرت بمادة الملح في أراضيها.[8] فيقطع الملح على شكل ألواح كبيرة، ويحمل على الجمال فإذا وصل إلى السودان، يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل فيكون قيمة له. ويمثل الملح أساس ثروة الملك ويحتفظ به في المخازن.[9] ويذكر ابن حوقل أن ثمن حمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيهمابين مائتين إلى ثلاثمائة دينار.[10]

---

[1] – جودت، **العلاقات الخارجية**، ص276.

[2]– جوان جوزيف، المرجع السابق، ص52.

[3]– بحاز،المرجع السابق، ص 225.

[4]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 17.

[5]– القزويني، المصدر السابق، ص ص25-26.

[6]– ابن بطوطة، المصدرالسابق، ج4، ص 241.

[7]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

[8]– شعباني، المرجع السابق، ص123.

[9]– جودت، المرجع نفسه، ص277.

[10]– ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 98.

إذن يعتبر الملح مادة حيوية أساسية في المبادلات التجارية بين المغرب الإسلامي وشعوب جنوب الصحراء. لهذا عمل التجار الرستمين وغيرهم على استبدال بضائعهم بالملح في جزيرة أوليل وتوتك، وأخذها إلى بلاد غانة وكوكو.[1]

ب–واردات الدولة الرستمية من بلاد جنوب الصحراء:

ونقصد بذلك السلع التي كانت تنقل من بلاد السودان إلى الدولة الرستمية، ولعل أهم مادة اشتهرت بها بلاد السودان هي **الذهب**، يعتبرأهم المعادن في مملكة غانة وبه ارتبط اسمها.[2]وهذا ما أكده المسعودي بقوله "وهي أرض كثيرة الذهب ..."[3] أما اليعقوبي فيذكر أن في بلاد ملك غانة معادن الذهب، وتحت يده عدة ملوك الذهب.[4]

وعليه كانت مملكة غانة تسيطر على قبائل و ممالك أخرى نتيجة تحكمها في مصادر الذهب ففي جنوبها توجد مناجم الذهب[5].وقد اعتاد التجار السفر عبر الصحراء، إلى بلاد غانة من أجل الحصول على الذهب خاصة خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الميلاد منطلقة من ورجلان إلى كاغو، ومنها إلى سجلماسة إلى أودغست. ومنه يقول البكري:" أن ذهب أودغست أجود ذهب أهل الأرض ... "[6]وقد وصل الذهب إلى تاهرت،وكان الإمام أفلح بن عبد الوهاب يمتلك كمية طائلة منه،مما ساهم في بناء ورخاء الدولة الرستمية.[7]

إذن شكل الذهب أهم سلعة تاجر بها أهل السودان مع بلاد المغرب الإسلامي هذا ما أشار إليه البكري بأن أفضل الذهب في بلاد غانة بمدينة غياروا ...ويضيف أن كوغة حاوليها من معادن الذهب ...[8] أما الإدريسي يقول أن بلاد ونقارة هي أرض الذهب.[9]

---

[1]– بحاز، المرجع السابق، ص225.

[2]– فيج جي دي، المرجع السابق، ص16.

[3]– المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص6.

[4]– مخزوم الفيتوي، المرجع السابق، ص 236.

[5]– أنظر: الملحق رقم 08.

[6]– البكري، المصدر السابق، ص160.

[7]– جودت، **العلاقات الخارجية**، ص 282.

[8]– البكري، المصدر السابق، ص176.

[9]– الإدريسي، المصدر السابق، ص24.

المبحث الثالث: المبادلات التجارية بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء وعوائقها.

لقد لعبت الدولة الرستمية بأسواقها الواقعة في المسالك التجارة كورجلان وجبل نفوسة وتاهرت دورا في تلك التجارة الرابحة[1].ويذكر موريس لومبارد كيفية نقل الذهب الملتقط حيث يقوم الجمالون من البربر عبر الصحراء، ابتداء من مركز الإيداع في منطقة السنغال والنيجر حتى محطات القوافل الكبرى على حافات الصحراء في الشمال.[2]

-الرقيق (العبيد): وهو من السلع التي حظيت باهتمام تجار الشمال إلى جانب الذهب.[3]

فيجلبونهم من الأحراش، حيث يأتي بهم ملوك غانة وكوكو من القبائل البدائية.[4] وكذلك من بلاد لملم، وهذا ما أشار إليه الإدريسي بقوله:"أن أهل غيارة يأتون بالعبيد من أرض لملم فيبعونه إلى تجار غانة، وإنهم يسرقونهم ليلا ثم يبيعونهم إلى تجار المغرب[5]، أما اليعقوبي فيذكر أن تجار زويلة يأتون بالعبيد من بلاد السودان.[6]

كان العبيد يشكل جزءا من سكان الدولة الرستمية، فيباع في أسواق تاهرت وورجلان[7].كما اتخذت شخصيات ثرية في المجتمع الرستمي العبيد لخدمتهم في القصور والمنازل واشتغلوا في الحرف والبناء .[8]حيث امتلك عبد الرحمان بن رستم العبيد وهذا ما ذكرته المصادر عندما أتت الوفود إليه من المشرق،وجدته يعمل في سقف بيته والعبد يناوله الطين.[9]

عمل الرقيق في زراعة الأرض بالمناطق الريفية، والبساتين والحرف المختلفة، واشتغل أيضا العبيد في المناجم وحراسة القوافل التجارية[10].من أجناس رقيق السودان نجد التكرور والصونكي والغانيون ومن

---

[1]- بحاز، المرجع السابق، ص282.

[2]- لومبارد، المرجع السابق، ص 164.

[3]- جودت، **العلاقات الخارجية**، ص282.

[4]- بحاز، المرجع نفسه، ص228.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص26.

[6]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص132.

[7]- بحاز، المرجع نفسه ،ص227.

[8]- محمد بوركبة، **الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/-909م 777)**، دار الكفاية، الجزائر،2013، ص 291.

[9]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ، ص45.

[10]- الجنحاني، المرجع السابق، ص92.

بلاد الكانم حيث يصدر العبيد إلى سجلماسة، ومنه إلى المغرب الأقصى والأندلس، أو إلى ورجلة والجريد وافريقية[1]وهكذا شكل العبيد قوة منتجة وسلعة هامة في تجارة الرستمين.

أما فيما يخص السلع الأخرى المجلوبة من بلاد السودان نجد ريش النعام والصمغ[2].والشب الذي يستعمل في الصباغة وفي الأغراض الطبية والعاج. بالإضافة إلى الجلود خاصة جلود النمور المتوفرة بكثرة في بلاد السودان وجلد حيوان البطي الذي يستعمل في السروج.[3] كذلك من البضائع التي حملها التجار من بلاد السودان إلى المغرب الأحجار الثمينة والعنبر، وأنياب الفيلة[4]. والحيوانات كالفيلة والزرافات.[5]

كما جلبت القوافل التجارية الدرق اللمطي، وهذا أكده الزهري بأن اللمط حيوان قدر العجل من جلده تصنع الدرق اللمطية .[6] ومن جلده يصنع لباس المحاربين، ويوجد في منطقة لمطة حسب ابن حوقل "من سجلماسة إلى لمطة معدن الدرق اللمطية عشرون يوما."[7] وتحمي هذه الدرق المحارب وقد وصلت إلى مدينة تاهرت عن طريق التجار، واستعمل من طرف الإمام أفلح عبد الوهاب في حربه مع يزيد بن فندين حسب قول الدرجيني:"جعل يتقي بدرقته حتى لم يجد فيها حصنا يتقي به شيئا فرمى بها".[8]

---

[1]- انظر: الملحق رقم 09.

[2]- دبوز، المرجع السابق، ص347.

[3]- جودت، **العلاقات الخارجية**، ص ص 284 -285.

[4]- أبوعبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **كتاب الجغرافيا**، ترجمة محمد حاج صادق، مكتبة الثقافية الدينية، دت، ص 118.

[5]- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص4.

[6]- **اللمط**: حيوان قدر العجل أو أكثر منه، طويل العنق له أذنان كالماعز أنظر: الزهري المصدر نفسه، ص 118.

[7]- ابن حوقل، المصدرالسابق، ص 91.

[8]- الدرجني، المصدر السابق، ج1، ص54.

2-نظم التبادل:

1-المقايضة:

كانت التجارة بين السودان الغربي وبلاد المغرب في العصور الوسطى تقوم على المقايضة، وقد اتخذت من السلع الثمينة عملة للتبادل.[1] وأهم سلعة اتخذت هي الذهب وهذا ما أكده الحموي بأن طريقة بيع معدن التبر (الذهب) في السودان كانت تتم بالمقايضة على النهر[2] واستعمل الذهب غير المسبوك كعملة عند السودانيين.[3] أما عن عملية المقايضة فتتم بين الذهب والملح، فكانت قبائل السونيك التي تقدم الملح وقبيلة الونجارا تقدم الذهب. وذلك نظرا لتوفر الذهب بصورة غريبة، لدرجة أنهم يدفعون ثمن الملح ذهبا، وبنفس الوزن في أغلب الأحيان.[4] ويجعلونه دنانير أو عملة يتعاملون بها.[5]

كما اعتمد الملح كعملة من طرف تجار المغرب نظرا لندرته في بلاد السودان.[6] فكان يحمل على ظهور الجمال كما أشرنا سابقا، ومن جزيرة أوليل إلى سجلماسة، ومنها إلى غانة وتعتبر منطقة تاغزة موطن له.حيث يباع الملح بوزن الذهب .[7] فيباع كل وقر (قطعة) بمائة دينار[8].ويذكر البكري:" أن حمل حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد، ودينارن في إخراجه، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل، وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل ..."[9]

أما عن سوق المقايضة فيذكر معظم المؤرخين أنها تقام على مساحة منبسطة وواسعة على شواطئ نهر النيجر،حيث يقوم التجار حاملين الملح من قبائل السونيك بتهيئة الأرض التي سوف يقام عليها السوق، ويقوم كل تاجر بوضع كمية التي جلبها من صخور الملح في كومة منظمة بشكل

---

[1]- شعباني، المرجع السابق، ص 125.

[2]- ياقوت الحموي، المصدرالسابق، ج 2، ص12.

[3]- الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص163.

[4]- جوان، المرجع السابق، ص 52.

[5]- المبروك الدالى، المرجع السابق، ص 37.

[6]- شعباني، المرجع السابق، ص 127.

[7]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 241.

[8]- القزويني، المصدر السابق، ص 26.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص176.

خاص كما توضع البضائع الأخرى التي يريد بيعها [1]، مثل جلود الحيوانات والعاج وثمار كولا وغيرها.وبعد ذلك تقرع الطبول أو الدبة [2]،دلالة على بدأ السوق وأنهم مستعدون للمقايضة فكانوا يقدرون كل كومة ملح ما يقابلها من الذهب الذي كان على شكل تبر أو قطع صغيرة.[3]

وهذا ما ذكره ابن بطوطة بقوله " وبالملح يتصارف السودان كما يتصارفون بالذهب والفضة ويقطعونه قطعا ويتبايعون به ..."[4]كذلك استعمل النحاس في عملية المقايضة.[5]

2-التجارة الصامتة:

عرف هذا النوع من التجارة في المناطق الجنوبية من بلاد السودان أين توجد مناجم الذهب.[6] ونعني بالتجارة الصامتة هي مبدأ المقايضة بناءا على رضا الطرفين وتتم بدون كلام ودون أن يرى البائع زبونه .[7] فكانت تتم هذه التجارة على النحو التالي:

عندما يصل تجار شمال إفريقيا إلى الحدود الفاصلة بين غانة والصحراء، فيضعون بضائعهم على شكل أكوام،[8]ويغطونها بالأقمشة ثم يرحلون بعد ذلك بعيدا. فتأتي من بعدهم زنوج غرب إفريقيا حاملين الذهب ويتركونه بجانب بضائع تجار الشماليين وينسحبون هم أيضا، وبعد ذلك يعود التجار الشماليون فإذا اقتنعوا بما وجدوه من سلع حملوه وعادوا إلبلادهم. وإذا لم يقتنعوا بماتركه الزنوج عادوا إلى مكانهم دون حمل كمية الذهب[9]. وبعد ذلك يعود الزنوج فلو وجدوا البضائع نفسها يضيفون كمية أخرى من الذهب على الكمية السابقة وبذلك تنتهي العملية بين الطرفين.[10] كما يستعمل قرع الطبول في هذه العملية التجارية.[11]

---

[1]- جوان جوزيف، المرجع السابق، ص 52.

[2]- **الدبة:** هي طبول ضخمة مصنوعة من جذوع الأشجار المجففة تستعمل في عملية التجارة، انظر:جوان جوزيف،المرجع نفسه ،ص ص 52 -53.

[3]- نفسه، ص 53.

[4]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص241.

[5]- شعباني، المرجع السابق، ص125.

[6]- مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص236.

[7]- شعباني، المرجع نفسه، ص 130.

[8]-الفيتوري، المرجع نفسه، ص237.

[9]- ويندز،المرجع السابق،ص40.

[10]-الفيتوري، المرجع نفسه،ص 236.

[11]-القزويني، المصدر السابق، ص 19.

إذن تعتبر التجارة الصامتة بأسلوبها البدائي من أول المراحل لاقتناء الذهب من مصادره[1].فكانت بذلك مقياسا لتطور الحركة التجارية في تلك العصور.[2]

3-**العملة:**

تعتبر العملة وسيلة هامة في عملية التبادل التجاري بين الدول،نظرا لأهميتها الاقتصادية فقد عملت معظم الدول والحركات الخارجية على صكها، ومنها الدولة الرستمية.إذ تشير المراجع إلى وجود المسكوكات في منطقة تاهرت، فقد يذكر ابن الصغير الدينار والدرهم في عهد الإمام يعقوب بن أفلح [3].وعليه نجد الأستاذ صالح بن قربة يشير إلى فلس عبد الرحمان بن رستم ويحدد تاريخه ومكان ضربه في سنة 144هـ/761م بمنطقة افريقية، غير أن هذا الفلس يخلو من اسم الحاكم.ويضيف على ذلك وجود دينار ينتسب إلى زعيم الخوارج الاباضية أبو الخطاب عبد الأعلى سنة 141هـ/758م.[4]

لكن هذه النقود لا تحمل أي شعار خاص بالخوارج[5].وقد ضربوا العملة نظرا لتوفر الذهب في حاضرتهم تيهرت حيث يذكر موريس لومبارد أن ذهب السودان كان يكدس في الحواضر الكبرى فتضرب النقود بها. [6]وهذا يجعلنا نتسائل:هل كان الرستميون يتعاملون بهذه العملة مع شعوب جنوب الصحراء ؟ أم كان التعامل يتم بين المناطق التابعة لها؟

لم تذكر المصادر الجغرافية وجود هذا النوع من المعاملات التجارية. إلا أن هناك إشارة يذكرها ابن حوقل بوجود صك كتب بدين على أحد التجار المغاربة يدعى محمد بن أبي سعدون وشهد عليه العدول باثنين وأربعون ألف دينار.[7]كما يضيف ابن حوقل بقوله:"لقد رأيت بأودغست صكا فيه ذكر حق رجل من سجلماسة لرجل آخر من أهلها بأربعين ألف دينار.[8]

---

[1]- بحاز، المرجع السابق، ص 231.

[2]-فيج جي دي، المرجع السابق، ص ص20 -21.

[3]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص112.

[4]- صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح حتى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2011، ص ص30-31.

[5]- نفسه، ص 31.

[6]- لومبارد، المرجع السابق، ص164.

[7]- ابن حوقل، المصدرالسابق، ص 65.

[8]- نفسه، ص 97.

2 – عراقيل التجارة:

إن الحديث عن العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية، وشعوب جنوب الصحراء قادنا إلى التعرف عن المسالك التجارية والتي عرضناها أنفا، إلا أن تلك الطرق كانت لا تخلوا من الصعوبة بمكان فقد تعرض هؤلاء التجار لشتى الصعوبات والأخطار إلا أنهم واجهوا تلك العوائق وهذا ما دفعنا للتطرق إليها وذكرها وهي:

1– **الصحراء**: إن العرب أول ما عرفوا السودان الغربي عرفوه عن طريق الصحراء[1]، التي تعد من أكبر الصحاري[2] بمساحة تقدر ب 55 مليون كلم.[3]2ليس فيها ماء، ولا مرعى حيث يكابد فيها المسافرون شدة العطش والحرارة الشديدة حيث يقول الإدريسي:" وهذه الصحاري فيها مجابة مياه وذلك أن الماء لا يوجد فيها إلا على بعد يومين وأربعة وخمسة وستة واثني عشر يوما مثل مجابة تيسر التي في طريق سجلماسة إلى غانة ...أن القوافل تتزود الماء بسلوك هذه المجابات ..." [4] ويقول أيضا الأصطخري عنها: "وبلدان السودان بلدان عريضة إلاأنها قفرة فشفة جدا"[5] لقد شكلت الصحراء المعبر التي ربطت بلاد السودان ببلاد المغرب طوال العصر الوسيط، إلا أن حدود الصحراء الكبرى ليست واضحة.

فيقدر طولها بأكثر من 5600 كلم ويصل عرضها من الشمال الى الجنوب الى 1030 كلم، وحدودها كالآتي:

شرقا: الحدود الطبيعية للصحراء بما فيها الصحراء اللبية ونهر النيل[6]، وغربا المحيط الأطلسي.

---

[1]– نبيلة حسن، المرجع السابق، ص 182

[2]– طارق مراد، **الصحاري**، موسوعة محيط المعرفة والعلوم، دار الراتب الجامعية، بيروت،دت، ص 41 .

[3]– مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 129.

[4]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 18.

[5]– الأصطخري، المصدر السابق، ص 30.

[6] –ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 310.

أما شمالا صحراء سيرت وجبل نفوسة، وشط الجريد وشط ملغيغ، وجبال الأطلس الصحراوي ودرعة فتضم بذلك المراكز التجارية في شمال الصحراء مثل فزان وغدامس،و واديريغ و ورغلة، وسجلماسة وجنوبا تصل تقريبا إلى مصب نهر السنغال وأعلى منعطف نهر النيجر وتشاد لتصل ثانية إلى النيل.[1]

ولهذا كان على التجار تنظيم سير قوافلهم، واختيار الزمان والمكان لانطلاق قوافلهم إذ يتجمعون في أماكن محددة، ويوجد مقدم يتحكم في سير القافلة، ويضرب الطبل من قبل معلنا انطلاق القافلة، ويستعان بدليل ومن له خبرة ووفق توفر الماء وسهولة المنطقة،[2] فإذا تم اجتماعهم ساروا إلى سجلماسة ويلتقون مع تجارها. ويسيرون في قافلة واحدة، كما قامت اتفاقية بينهم وبين قبائل الصحراء الذين كانت لهم معرفة بتلك القفار وحراستهم مقابل أجر (فوائد).

وهذا ما أشار إليه بعض المؤرخون بأن قوة صنهاجة تكمن في سيطرتها على الطرق التجارية.[3]ومن الاحتياطات التي اتخذها التجار لقطع الصحراء كما يلي:

أ-السفر إلى بلاد السودان في فصول معينة[4] خاصة فصل الشتاء وفصل الخريف فيقول ابن حوقل: "لا يسلك إلا في زمان الشتاء وسالكها في حينه متصل السفر دائم الورود والصدر"[5]، وهذا ما أكده الإدريسي فيقول: "هذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف".[6]

ب-اختيار الأوقات المناسبة للسير خاصة عندما يخف وهج الحرارة.[7] وعليه يذكر الإدريسي بقوله:"وصفة السير بها أنهم يوفرون أحمالهم السحر الأخير، ويمشون إلىأن تطلع الشمس ويكثر نورها في الجو، ويشتد الحر على الأرض فيحطون أحمالهم، ويقيدون أجمالهم ويخيمون على أنفسهم ...إلى أول وقت العصر، وحين تأخذ الشمس في الميل والانحطاط في جهة المغرب ... يمشون بقية يومهم

---

[1]- نبيلة حسن، المرجع السابق، ص 24.

[2]- نفسه، ص،212.

[3]- جودت، **العلاقات الخارجية**، صص258-259.

[4]- هوينكز، المرجع السابق، ص171.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 31.

[7]- بحاز، المرجع السابق، 221.

إلىوقت الفجر الأخير"[1] وهنا نلاحظ كيف يقسم التجار أوقات الراحة والتوقف للاحتماء من أشعة الشمس الحارقة.

ج – حمل الأطعمة المناسبة: إذ كانوا يحملون مواد غذائية مجففة التي تتحمل تلك المدة الطويلة من السفر.[2]

4 – اختيار الجمال القوية والتي من خصائصها الصبر على العطش وتحمل المشاق والصعوبات وقطع المسافات الطويلة، كما استعملوه في حمل الأمتعة الثقيلة .[3] أي أن الجمل له مؤهلات ينفرد بها على سائر الحيوانات فالله عزوجل حماه بجفون وأرجل طويلة وانف واسع قادر على اجتياز الصحراء وما فيها من أخطار حيث قال تعالى: **(أَفَلَا يَنْظُرُون إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)**[4]، وعليه ذكر ابن خلدون أن عدد جمال قافلة تجارية واحدة مابين فزان، وبلاد السودان يبلغ عددها اثنتي عشر ألف راحلة.[5] كما ذكر ابن حوقل كثرة الجمال بالمغرب [6]، فكانت الجمال تصف صفوفا وراء بعضها البعض وكل صف يتكون من مائتين بعير[7]، فالجمال هي سفن الصحراء التي يجب الاعتماد عليها في مثل هذه الظروف الصعبة.[8]

2**–الرياح أو الزوابع الرملية:** وهي من أخطر المصاعب التي واجهت القوافل المتجهة إلى بلاد السودان، فهي تشتت شمل التجار عن قوافلهم ويغطي الرمل المسالك المعروفة.[9] وهذه الرياح الجنوبية

---

[1]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 10.

[2]– نبيلة حسن، المرجع السابق، ص212.

[3]– مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 132.

[4]– سورة الغاشية، الآية 17.

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 148.

[6] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 18.

[7]– عبد الحميد بكري، **النبذة في تاريخ توات وإعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 2007، ص 47.

[8]– هوينكز،**التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تقديم محمد عبد الغني سعود، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاسيرية،1998م ص 168.

[9]– بحاز، المرجع السابق، ص 222.

تعرف برياح السيروكو فتجفف المياه بقربهم،[1] ويعد العالم الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم[2] هو خير من وصف مشاق الصحراء وأهوالها، أما الباروني فيقول: "دخل أعرابي من أهل اليمن يقال له أبوهلال إلى تاهرت ثم خرج إلىأرض السودان مع ركب التجار فأتى عليه يوم له وهيج وحر شديد وسموم في تلك الرمال فنظر إلى الشمس مضحية راكدة على قمم الرؤوس وقد صهرت الناس فقال مشيرا إلى الشمس أما والله لئن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت"[3]، فنلاحظ ما كان يعانيه التجار من الظمأ الشديد والتعب جراء الشمس المحرقة والعطش .

3 – قلة المياه أو الآبار: يعد الماء من العناصر الضرورية للحياة خاصة وان صحراء نيسر والتي يدخل منها المسافرون إلى مدينة أودغشت[4]وهو إقليم واسع جدا.[5] حار كما سبق ذكره ووفرة المياه متعلقة بسقوط الأمطار فإذا كان موسم السنة ممطرا توفر الماء والكلأ [6]، وفي الغالب فهي جافة قليلة الأمطار.[7] ولهذا عمل المسافرين على حفر الآبار وتغطيتها بجلد الإبل وبنائها بعظامها أيضا لا يعثر عليها في غير فصل الشتاء نظرا لشدة الرياح التي تهب.[8] إلا أن وجود الآبار على طول الطريق الصحراوي الذي يربط بين الصحراء الكبرى، وأودغست هذه الأخيرة قام بحفرها عبد الرحمن بن حبيب سنة 128 هـ / 745 م واستخدمت كمرشد على طول الصحراء.[9]

---

[1]- جودت، **العلاقات الخارجية**، ص 256.

[2]- **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم**:ولد بمدينة ورجلان في مطلع القرن السادس الهجري نبغ في اللغة العربية ولقب بالجاحظ، قام بعدة رحلات في إفريقيا له عدة مؤلفات منها كتاب فتوح المغرب في التاريخ الدليل والبرهان لأهل العقول كتاب مروج الذهب في الفلسفة والحكمة، انظر: يحي بوعزيز**الموجز في تاريخ الجزائر**، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، دت،ص 127.

[3]- الباروني، المصدر السابق، 26.

[4]- المبروك الدالى، المرجع السابق، ص 20.

[5]- عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، **تاريخ السودان**، وقف طبعه هوداس وآخرون، باريس، 1981، ص9.

[6]- بحاز، المرجع السابق، ص 221.

[7]- عبد القادر زبايدية،**دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 10.

[8]- أحمد الشكري، **الاسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي1230هـ /1430م**، المجمع الثقافي أبوظبي،الإمارات العربية المتحدة ،1999 ص 69.

[9]- نبيلة حسن، المرجع السابق، ص 30.

يقول البكري: " من تامدلت إلى بير الجمالين مرحلة وهذه البير عملها أربع مجابات من أنباط عبد الرحمن بن حبيب".[1]

وفي حالة عدم وجود المياه والعثور على الآبار عمل المسافرون إلى اصطحاب الجمال واستخدام أجوافها في تجميع المياه وبعدها ينحرونها، وعليه نجد القزويني من أحسن المصادر الذي تصف لنا هذه الطريقة فيقول: "وعبورهم على براري معطشة ... فيحتالون بان يستحبوا معهم جمالا فارغة من الأحمال ويعطشونها قبل ورودهم الماء الذي يدخلون منه تلك البراري، ثم أوردوها على الماء نهلا وعللا حتى تمتلي أجوافها ويشدون أفواهها كي لا تجتر فتبقى الرطوبة في أجوافها، فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحروا جملا[2] ويشربون بما في بطنها، وأسرعوا بالسير حتى يردوا مياها أخرى"[3]، ويقول الإدريسي: "وهذه الصحاري فيها مجابات مياه وذلك أن الماء لا يوجد فيها إلا على بعد يومين وأربعة وخمسة وستة واثني عشر يوما مثل مجابة تيسر التي في طريق سجلماسة إلى غانة".[4] كما عمل التجار على حفر الآبار في المناطق التي تكون فيها المياه الجوفية قريبة من السطح وهذا باستخدام العارفين بمواضع الماء مثل قبائل مسوفة.[5]

وقد أشار إليها الإدريسي بقوله: "أرض خالية ليس بها أثر للماء ولا لغيره فاخذ البربري غرفة من ترابها وقربه من انفه ثم اشتمه وتبسم وقال لأهل القافلة انزلوا فان الماء معكم فنزل أهل القافلة هناك ... وقيدوا الجمال ... ثم عمد البربري إلى موضع وقال احفروا هاهنا فحفر الناس في ذاك الموضع اقل من نصف قامة فخرج إليهم الماء الكثير العذب فعجب أهل القافلة"[6]، وهذا ما أكده ابن حوقل بان لهم هداية بمعرفة وجود الماء.[7]

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص 156.

[2]- **الجمل**: حيوان أسيوي ودخل إلى إفريقيا بداية القرن الأول الميلادي، انظر: فيج جي دي، المرجع السابق، ص 42.

[3]- القزويني، المصدر السابق، ص 19.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 18.

[5]- بحاز، المرجع السابق، 221.

[6]- الإدريسي، المصدر نفسه، ص 28.

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101.

4 – قطاع الطرق: إن طول المسافة بين بلاد المغرب والسودان جعل التجار المسافرين إليها يكابدون شتى الأخطار، ومنهم قطاع الطرق الذين كان لهم تأثير على التجارة وسلب أموالهم فكان عليهم حماية قوافلهم.[1]وهذا راجع إلى طبيعة المجتمع القبلي[2]، ولهذا سلك التجار بعض الطرق الآمنة.[3]

5 – قلة الموارد المالية:إن عدد التجار المسافرين إلى بلاد السودان في أعداد قليلة بسبب قلةالإمكانات اللازمة للقافلة، مما فسح المجال للتجار القادمين من العراق كالبصريين والكوفيين.[4] يقول الباروني: "حتى لا نرى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي ،وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ومربعتهم وهذا مسجد البصريين ،وهذا مسجد الكوفيين واستعملت السبل إلى بلاد السودان"[5]، وهنا نلاحظ انه يوجد في القوافل المتجهة إلى بلاد السودان من تاهرت فيها مختلف الأجناس، ويقول أيضا: "واستعملت إلى بلاد السودان والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار."[6]

يتضح لنا مما سبق أن هناك عدة صعوبات وعراقيل واجهت التجار خلال سفرهم من بلاد المغرب الإسلامي إلى جنوب الصحراء، وذلك نظرا لصعوبة المسالك التجارية وعمق الصحراء القاحلة والمقفرة بالإضافة إلى أخطار الطريق وقلة المياه فيها.

---

[1]- بحاز، المرجع السابق،ص 222.

[2]- جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، ص 199.

[3]- عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص47.

[4]-جودت، المرجع نفسه، ص 201.

[5]- الباروني، المصدر السابق، ص 88.

[6]- نفسه، ص 88.

الخاتمة:

يعود تاريخ العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب، وشعوب جنوب الصحراء إلى عهود قديمة فبعد انتشار الإسلام في ربوعها عمل الفاتحون على الوصول للمناطق الجنوبية، فكان أقصاها بلاد السوس.

وبعد قيام الدويلات المستقلة بالمغرب الإسلامي، ومنها الدولة الرستمية التي استمرت في علاقاتها بجنوب الصحراء مستفيدة من ثرائها الاقتصادي، وكذا دوافعها السياسية، والمذهبية اتجاه الخلافة العباسية في المشرق وممثلتها الدولة الأغالبة ببلاد المغرب، ومن جهة أخرى وطدت علاقاتها بجيرانها المدراريين بسجلماسة التي تعد بوابة السودان الغربي.

فكانت قوافلها التجارية تعبر عدة مسالك، منها الشرقية، والغربية عبر الصحراء، والتي كانت تشكل أهم حائل بينهما، نظرا للأخطار التي واجهتهم عبر هذا المسلك الطويل، والتي قدرها الجغرافيون والرحالة بمسيرة شهرين، ولهذا عملوا على تهيئة أنفسهم، وتحضير ما يلزمهم لتذليل تلك الصعوبات والعوائق، من نقص للمياه وقطاع الطرق، وعواصف رملية، يمكن أن تؤدي بهم للموت في الكثير من الأحيان، بالإضافة إلى عمق الصحراء، وبعد المراكز التجارية عن بعضها البعض، وصعوبة المسالك. أي تحدوا تلك الظروف الطبيعية، بإنشاء مراكز تجارية هامة ببعض المدن الكبرى كسجلماسة، وورجلان وتوات التي تعد من الواحات البارزة في طريق القوافل، للتوقف بها والتزود بما يحتاجون إليه في سفرهم من ماء، وجمال واستئجار للأدلاء المتخصصين في توجيه السالكين للطرق الصحراوية، ثم الانطلاق في تلك المفازات والقفار.

فالصحراء إذن عبرت من خلالها السلع، والأفكار، والثقافات، فهي لم تكن أبدا عائقا يقف في وجههم خاصة وأن العرب كانت لديهم قصصا تروى عن غانا والذهب الموجود بها، هذا ما دفعهم للإقبال على السفر من أجل هذه المادة الأساسية التجارية حيث استعملوها في صك عملتهم.

ومن جهة أخرى لجلب مواد ذات أرباح وفوائد جمة، أي كانت هناك عدة حوافز وإغراءات جعلت هؤلاء التجار يسافرون ويعودون بسلع ذات أهمية كبرى، كالعبيد الذين شكلوا أكثر السلع تداولا، خاصة في منطقة بلاد السودان، فقد استخدموا في انجاز مختلف المنشآت العمرانية، ووظفوا في الزراعة والحرف، كما عملوا في قصور الملوك والأمراء نظرا للرخاء الذي عرفته الدولة الرستمية.

إضافة إلى عدة منتجات أخرى وجدت بالسودان الغربي منها، الدرق اللمطية التي يستخلص من جلود حيوان اللمط الذي يعيش في مناطق جنوب الصحراء، التي يحمى بها أجسام المحاربين، كما جلبت أدوات الزينة والشب ...الخ.

دون إهمال عنصر مهم آخر وهو مساهمة التجار، المنطلقين إلى جنوب الصحراء في نشر الإسلام بين مختلف الشعوب، ودليلنا في ذلك وجود تجار إباضيون وإقامتهم في أودغست، وكذلك قيام عدة حواضر إسلامية بحتة مثل تمبكت، ولو أنها متأخرة فهؤلاء التجار حملوا معاملاتهم التجارية وفق القرآن والسنة، في البيع والشراء، مما انعكس إيجابا على السكان وألبستهم وعاداتهم ،وتقاليدهم وسادت العادات السمحة بالمجتمع السوداني، رغم محافظة بعضهم على ديانتهم الوثنية والمجوسية وعدم فهمهم للدين بصفة صحيحة، وهذا ما أكده مجمل الرحالة و الجغرافيون كالبكري وابن بطوطة الذين زاروا تلك المناطق أو سمعوا عنها، فدونوا ملاحظاتهم في مصنفاتهم المختلفة.

كما تجدر الإشارة إلى علاقات الدولة الرستمية مع غيرها، لم تقتصر على المبادلات التجارية فحسب، بل تعدتها إلى المبادلات الثقافية، هذا ما استنتجناه في بحثنا الذي نحسب أن يكون إضافة جديدة للمكتبة التاريخية، حيث يبقى هذا العمل قابلا للتقليم والتوجيه من طرف اللجنة المناقشة الموقرة.

الملاحـــــق

الملحق رقم: 01.

نص: **يمثل شهادة البكري عن بلاد السودان وغانة** [1]

(... لبلاد السودان بنو جدالة هم اخر الاسلام خطة،واقرب بلاد السودان منهم صنغانة بين اخر بلادهم وبينها مسيرة ستة ايام ومدينة صنغانة مدينتان على ضفة النيل ... ويلي مدينة صنغانة ما بين الغرب والقبلة على النيل مدينة التكرور ،وأهلها سودان... فاهل تكرور مسلمون، وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى،وهي مدينتان على شاطىء النيل ايضا،وأهلها مسلمون اسلموا على يد وارجابي رحمه الله وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما في عمارة السودان القبيلة بعد القبيلة ... وغانة سمة لملوكهم اسم البلد اوكار، واسم ملكهم اليوم ،وهي سنة ستين واربع ماية تنكامين وولي سنة خمس وخمسين وكان اسم ملكهم قبله يسمى ووليهم ،وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان محمود السيرة محبا للعدل مؤثرا للمسلمين وعمى في اخر عمره فكان بكتم ذلك عن اهل مملكته ويريهم انه يبصر وتوضح بين يديه اشياء فيقول هذا حسن وهذا قبيح، وكان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلعزون للملك بما يقول فلا تفهمه العامة ويسمى هذا خال تنكمين، وتلك سيرتهم ومذهبهم ... شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان، ومدينة غانة مدينتان سهليتان احدهما الدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ...وحولها أبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات ومدينة الملك على ستة اميال من هذه ، وتسمى بالغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السمط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حائط كالسور وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يعد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الملك ... وافضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غياروا وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة بقبايل السودان مساكن متصلة فاذا وجد في جميع معادن بلاده الندرة من الذهب ...)

---

[1]-أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،ص ص172 وما بعدها .

الملحق رقم :02.

نص: يبين العلاقة التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي [1]

(...واستعملت السبل إلى بلاد السودان والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ،فأقاموا على ذلك سنتين أو اقل من ذلك أو أكثر والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار تاجرون ... وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات واتته الرفاق والوفود من كل الأمصار ، والأفاق بأنواع التجارات ... وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيما جميلا جوادا سمحا، وكان قد وفد على ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته فإذا ركب الخيل فهز يده وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية لأن لا محرج للامساك إنما هو فيما يبين القاف والكاف والجيم إلا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال ...)

[1] - ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ص 36، 61 ،71.(بتصرف)

الملاحق:

الملحق رقم:03

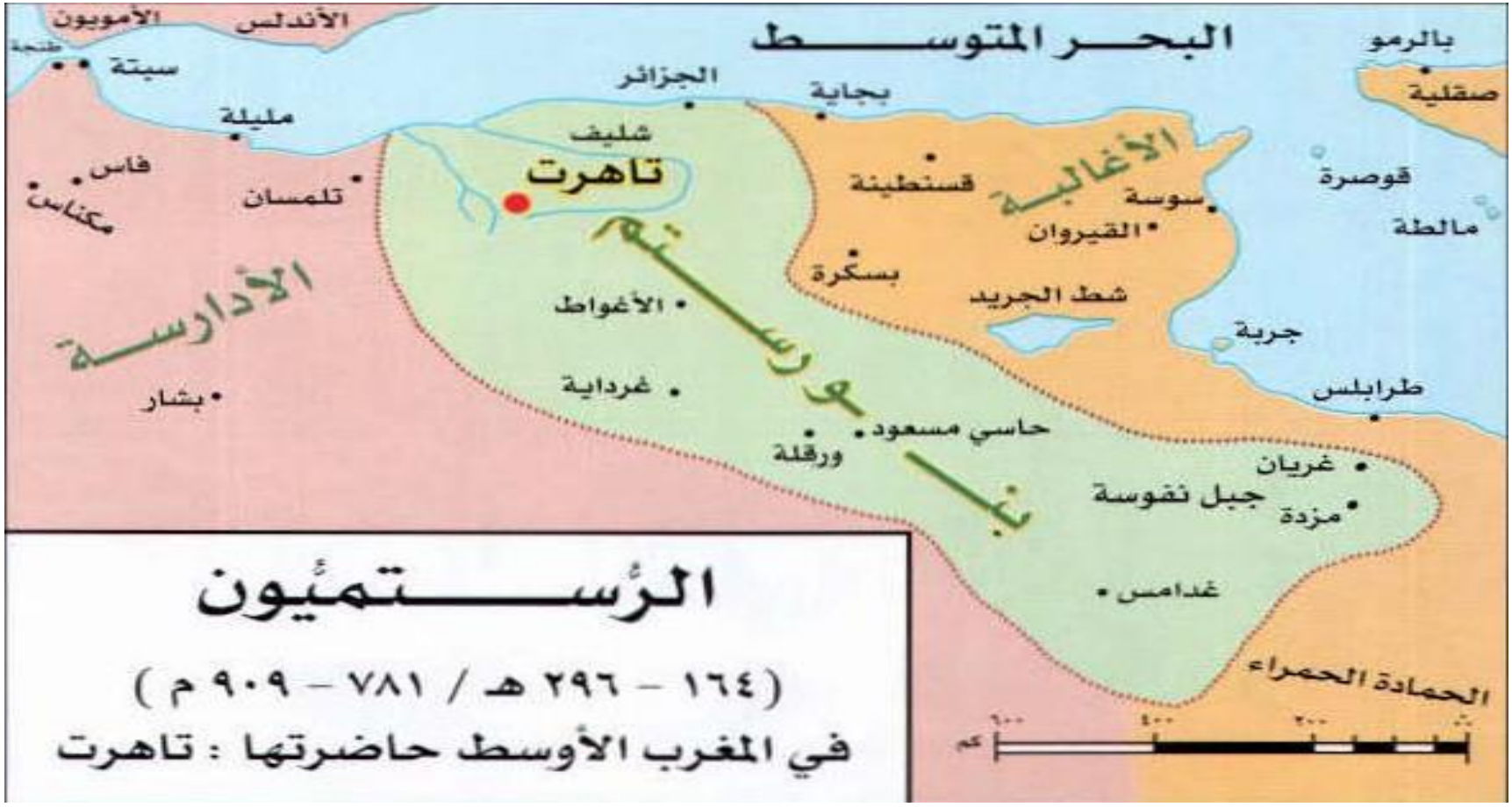
خريطة تمثل: بلاد السودان.



ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله بن محمد، رحلة ابن بطوطة ص 236.

الملحق رقم:04

خريطة تمثل حدود الدولة الرستمية



شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق سورية، ط5 ،2002 ص50.

الملاحق:

الملحق رقم:05

خريطة:تبين تجارة الرستميين نحو جنوب الصحراء.

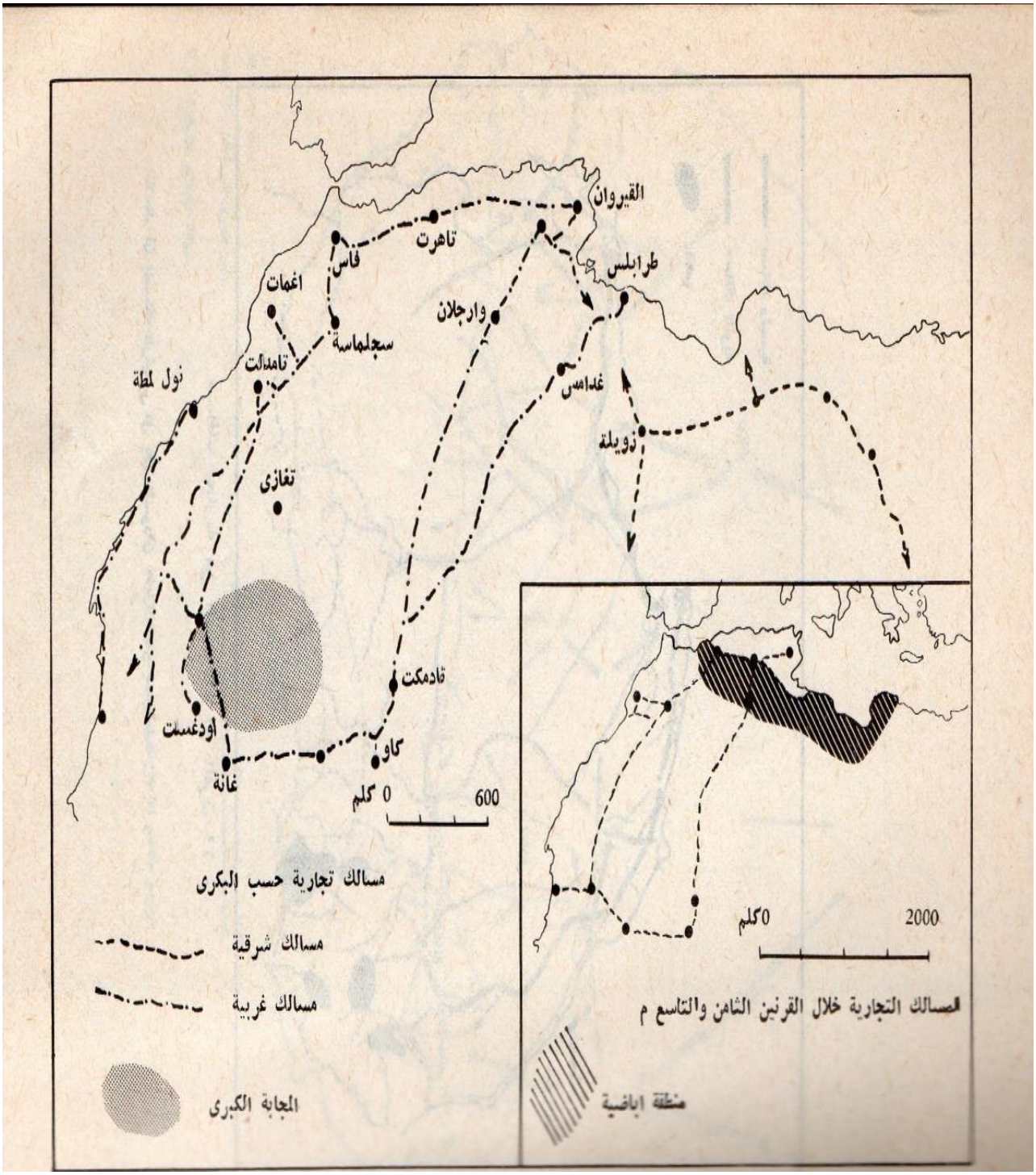


موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول من القرن 2الى القرن 5هـ /8-11م، ص322.

الملاحق:

الملحق رقم:06

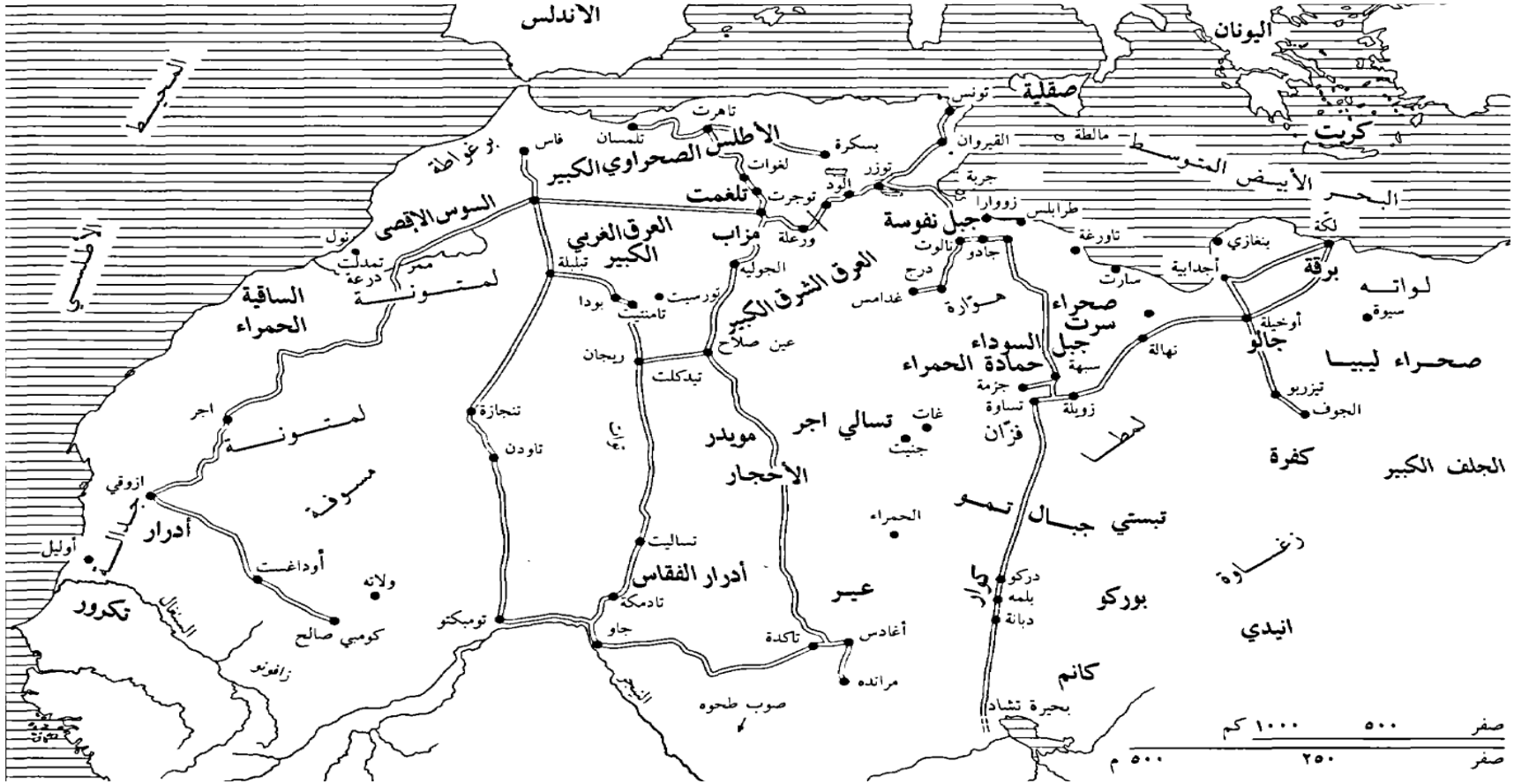
خريطة :تمثل المسالك التجارية.



الجنحاني،المرجع السابق، ص230.

الملحق رقم:07

خريطة: تبين المسالك والمحطات التجارية بين بلاد المغرب وجنوب الصحراء.



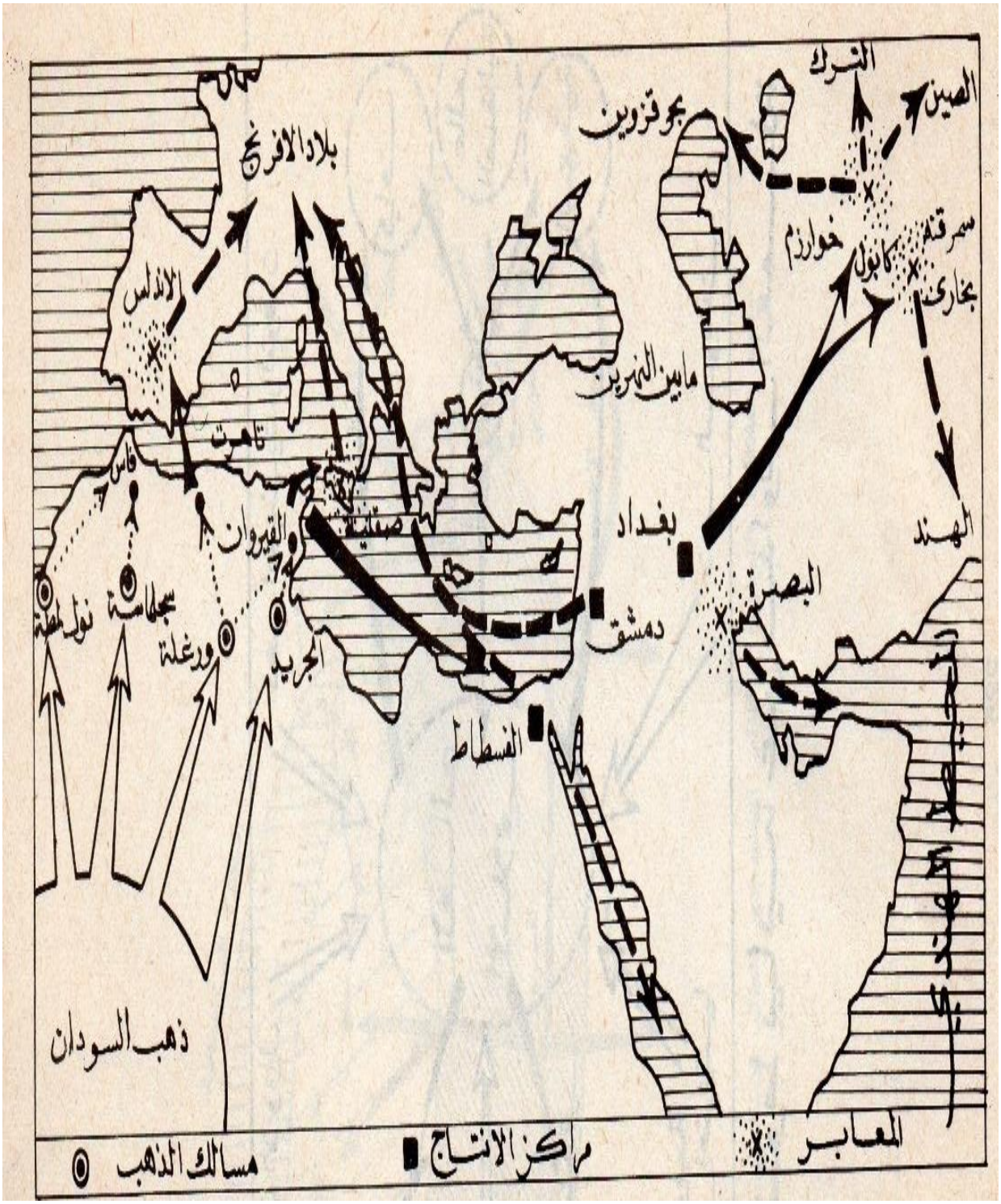
= مسالك تجارية

مراكز تجارية

الفاسي، تاريخ افريقيا العام، ص 312. (بتصرف).

الملحق رقم:08

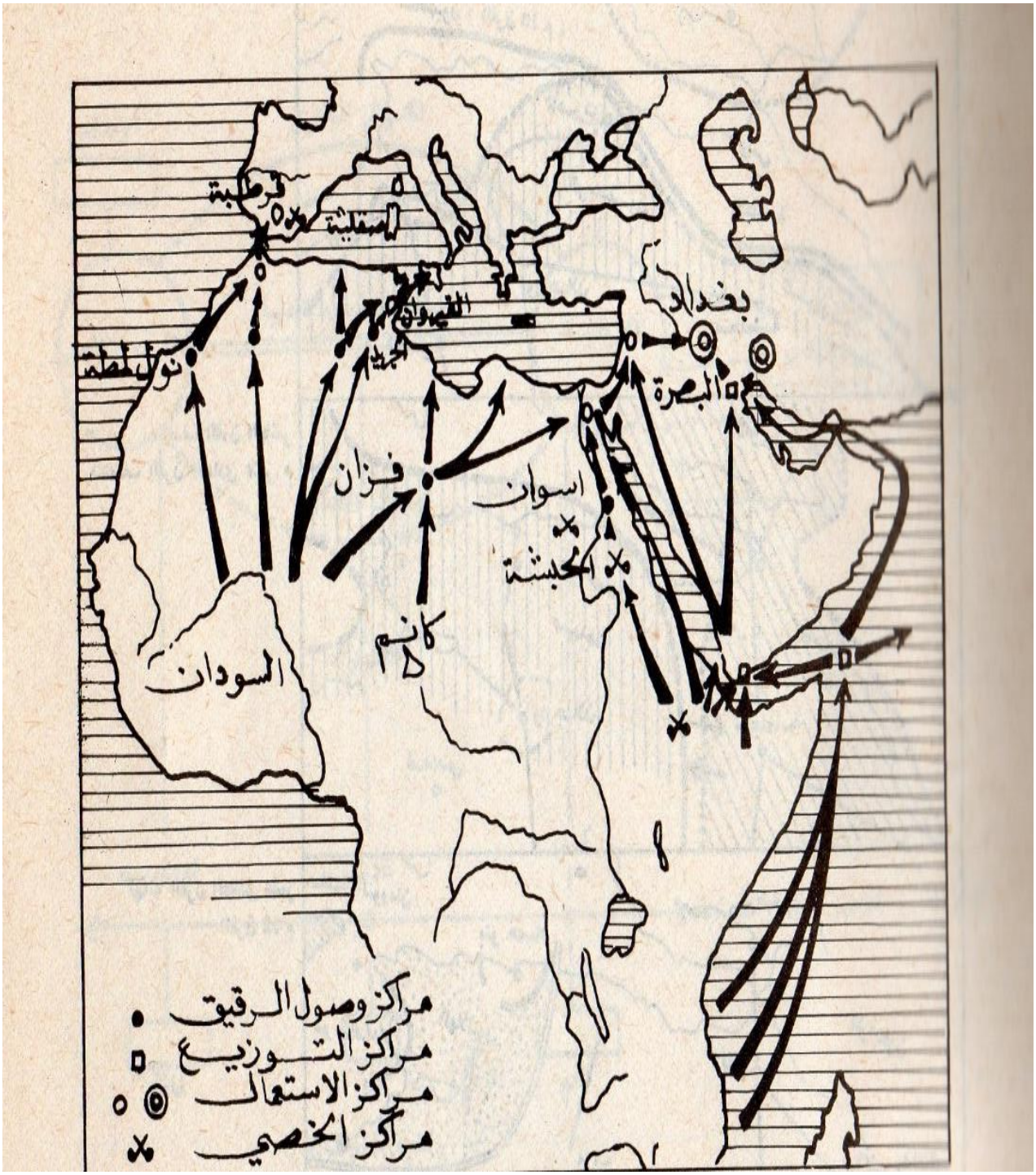
خريطة: تمثل مناطق تواجد الذهب.



الجنحاني،المرجع السابق، ص226.

الملحق رقم:09

خريطة: تبين تجارة الرقيق في بلاد السودان.



الجنحاني،المرجع السابق،ص 227.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

1-القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، 2001م.

2-الإدريسي أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق روبي ناتشى وآخرون،المجلد الأول،مكتبة الثقافة الريفية،دت .

3-الأصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك و الممالك ، مطبعة بريل ليدن 1937م.

4-الباروني عبد الله النفوسي،كتاب الأزهار الرياضية في ملوك الاباضية،ج2، دت.

5-ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله بن محمد، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،تحقيق عبد الهادي التازي،ج4،الرباط،1997م.

6-البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،دت.

7-الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي، معجم البلدان،المجلد الثاني، دار الصادر، بيروت،دت.

8-ابن حوقل أبو القاسم بن حوقل النصبي، صورة الأرض، دط،دار الحياة، بيروت، 1920م.

9-ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، المؤسسسة الوطنية للفنون، الجزائر 2007م.

10-الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثاني من كتاب أعلام الأعلام، ترجمة أحمد المختار العيادي،دار الكتب،الدار البيضاء،1964م.

قائمة المصادر والمراجع :

11-الدرجيني أبو العباس احمد بن سعيد،طبقات المشايخ المغرب،حققه إبراهيم طلاى، الجزء الأول مطبعة البحث، الجزائر، دت.

12-أبوزكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب السير الأئمة وأخبارهم، ترجمة إسماعيل العربي،المكتبة الوطنية الجزائر،1979م.

13-الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجعرافيا، ترجمة محمد حاج صادق، المكتبة الثقافية القاهرة،1990 م.

14-السعدي عبد الرحمان بن عبد الله، تاريخ السودان، وقف على طبعه هوداس وآخرون، باريس 1981م.

15-الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع تلمسان،2011م.

16-ابن الصغير المالكي،أخبار الأئمة الرستميين، ترجمة محمد ناصر وإبراهيم بحاز،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1986م.

17-ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، ج 1، الأمل للطباعة والنشر القاهرة مصر،2001م.

18-أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، دار صادر ،بيروت لبنان،1890م.

19-القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشى، ج5، دار الكتب الخديوية القاهرة 1914م.

20-مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ترجمة سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية،العراق، دت.

قائمة المصادر والمراجع :

21-المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ترجمة محمد محي الدين عبد الحميد،ج2،دار الفكر،بيروت،1973م.

22-المقدسي أبوعبيد الله محمد بن أبي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة برلين ليدن ،ط2، 1909م.

23-الوزان الحسن بن محمد الفارسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2 ،1983م.

24-اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح،كتاب البلدان،مطبع بريل، ليدن،1890م.

ب –المراجـــع:

1-بحاز إبراهيم بن بكير، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع السياسية والحياة الاقتصادية، جمعية التراث، ط2، 1993.

2-بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وإعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ،2007 م.

3-بوركبة محمد، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دار الكفاية الجزائر، ط2012.

4-بورويبة رشيد، مدن مندثرة، تاهرت، سدراة،أشير، قلعة بني حماد، سلسلة فن وثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1981م.

5-بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3 المؤسسة الوطنية، الجزائر، ط1984م.

6-بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، دت.

7-بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009م.

8-جغلول عبد قادر، أعمال تاريخ الجزائر والمغرب العربي، ترجمة فضيلة الحكيم، ج1، ذاكرة الناس ط 2013م.

9-الجنحاني الحبيب، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ/9-10م)، الدار التونسية، للنشر، تونس، ط1978م.

10-جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمغرب الأوسط خلال القرن (3-4هـ/ 9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1992م.

11-جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، ط1984م.

المراجع:

12-الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، دط، شركة دار الامة، ط2010م.

13 -الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي وحضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، جامعة المنصورة، دار النشر والتوزيع، الكويت، ط3 ،1987م.

14-حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، دارالهدى، تلمسان ط2011م.

15-حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ط2013 م.

16-الدالى الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 1999م.

17-دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، الإسكندرية، ط2010م.

18-دفيسون باسل، إفريقيا تكتشف من جديد، ترجمة سعد زغلول ونبيل بدر، مصر، ط2001م.

19-دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الاسلام، ط1 ، 1988م.

20-ديشان هوبير، الديانة في افريقيا السوداء ،ترجمة أحمد صادق حمدي مراجعة عبد الله دراز ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،ط2011م.

21-روكز يوسف، إفريقيا السوداء السياسة والحضارية، ط2، 1986م.

22-زبابدية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ديوان المطبوعات الجامعية، دت.

23-زغلول سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والادارسة حتى قيام الفاطميين، الناشر منشاة معارف بالإسكندرية، دت.

24-السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية، ط 2011م.

25-الشكري أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني امراطوريةمالي1230/ 1430 م، المجمع الثقافي، أبو ظبي الامارات العربية المتحدة، ط 1999م.

المراجع:

26-شوقي عبد القوى عثمان، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، المجلس الإعلامي للثقافة 2000م

27-صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى القرن الثالث، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ط 2006م.

28-الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،ط1983م.

29 -طويل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف القرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، ط1 ،2011م.

30-العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1984م.

31-العيدروس محمد حسن، المغرب في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث،ط1، 2009م.

32-عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام، دار الكتب الوطنية بنغازي،1998.

33-فيج جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم السيد يوسف نصر، دار المعارف القاهرة،ط 1982م.

34-فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مراجعة ميلاد المقرحي منشورات الجامعية، بنغازي، ط1987م.

35-فلجيه أحمد نجم الدين، إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية دت.

36-فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،ط2 ،1999م.

37-فيلالي عبد العزيز، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر الجزائر، دت .

المراجع:

38–قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 الجزائر، دت .

39–بن قربة صالح، المسكوكات المغربية من الفتح حتى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط2011م.

40–لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1987م.

41–لومبارد موريس، الإسلام في مجده الأول من القرن 2الى القرن 5هـ /8م–11م، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط2003م.

42–مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ت محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، ط1999م .

43–مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج3، دارالمعرفة، الرباط، ط1988م.

44–محمد اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، ط2 ،1988م.

45–بن موسى جميلة، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى القرن 11م منشرات بلوتر، الجزائر، دت.

46–هوينكزأج، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تقديم محمد عبد الغني سعود، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاسيرية، ط1998م.

47–ويندز دونالد، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البارودي، دار الجيل للطباعة، لبنان ط 2001م.

48–يوليم دنيس، الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهدين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان،ط 1974م.

ج–الموسوعـــات:

المراجع:

1-حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج4، مدن المغرب، دار الحكمة الجزائر ط2،2001م.

2-زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ترجمة، أحمد بن سودة،ط1995م.

3-شبلي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، مكتبة النهضة المصرية،ط 2 ، 1990م.

4-الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج1، مكتبة النهضة مدبولي القاهرة ط1994،1م.

5-محمدطارق، الصحاري، موسوعة محيط المعرفة والعلوم، دار الكتب الجامعية، بيروت، دت.

د –الرسائـــل الجامعـــية:

1-بان محمد البيباني، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3-5هـ/9-11م، رسالة ماجستير آداب في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف صباح إبراهيم الشيخلي، بغداد، ط2003م.

2-جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مذكرة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في تاريخ الإسلامي، إشراف موسى لقبال، الجزائر، ط1978م.

3-شعباني نور الدين، علاقات مماليك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين الرابع والتاسع الهجري 15/10م رسالة لنيل الماجستير في تاريخ العلاقات بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي، إشراف موسى لقبال، الجزائر، ط2006 م.

4-شنايت العيفة، دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجار القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، الجزائر، ط1991م.

هـ–المعـــاجم والأطالـس:

1-بحاز إبراهيم بن بكير وآخرون، معجم أعلام الاباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر مراجعة محمد صالح ناصر، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الجزائر، ط2007م.

المراجع:

2-نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، ط1980م.

3-شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر ،دمشق ،سورية ،ط5، 2000م.

و-المقـــالات والملتقيـــات:

1-بلعربي خالد، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية والسودان الغربي(160-296هـ/777-909م)، مجلة كان التاريخية، العدد الثامن، ديسمبر2010م.

2-بلهواري فاطمة، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن 4هـ/10م، مجلة كان التاريخية، العدد العاشر، ديسمبر ،2010م.

3-حياوي فراس سليم ومحمد عيسى حميد، الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية (160-296هـ /776-909م)، مجلة كلية الأساسية، العدد العاشر، جامعة بتبل كانون الثاني، 2013م.

4-خالدي مسعود، الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني والثالث الهجريين، دورية كان التاريخية، العدد عشرون ديسمبر2013م.

5-دوفيس جان، التجارة والطرق التجارية في غرب إفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، إشراف الفاسي وآخرون، مجلد الثالث ط2، 1997م.

6-ليتفيسكي تاديوز، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب تاريخ إفريقيا العام، إشراف الفاسي وآخرون، مجلدالثالث، ط1997،2م.

7-شهبي عبد العزيز، مركز تلمسان على مسالك التجارة في العصر الوسيط، أعمال الملتقى الدولي تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج2، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان2010م.

- المراجع باللغة الأجنبية:

1- le chatelier alfred, L 'islam dan lafrique occidenstele ,paris 1899 .

المراجع:

2-Maurice delafosse ,Les noire de la frique , paris1922.
3-Maurice de lafosse, lange mande ou mandingue ernestleroux, editeur reue bonaparte, paris ,1904.
4- Melein Alfred ,Lafriquea travers les ages , paris France,1914.

فهرس الموضوعات

كلمة شكر وتقدير

الإهداء

مقدمة..... 1

مدخل 7

المبحث الأول: عوامل نمو العامل التجاري بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء

1– العوامل الطبيعية(الجغرافية)..... 21

2–العوامل السياسية و الثقافية 24

3– العوامل الاقتصادية 29

المبحث الثاني :الطرق والمسالك والمراكز التجارية

1– الطرق و المسالك :..... 39

أ– الطريق الغربي..... 39

ب–الطريق الأوسط 42

ج– الطريق الشرقي 43

2– المراكز التجارية :..... 46

أ– المغربية..... 46

ب– الصحراوية 51

3– الأسواق 54

المبحث الثالث: المعاملات التجارية بين الدولة الرستمية وشعوب جنوب الصحراء وعوائقها

1– السلع التجارية 57

2– نظم التبادل 63

3– عوائق التجارة 66

خاتمة 72

الملاحق 75

قائمة المصادر والمراجع 85